الجمهـورية الجزائـرية الديمقراطـية الشعـبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

مذكرة ماستر

الميدان: لغة و أدب عربي

فرع: لسانيات عربية

تخصص : ألسانيات عربية

رقم: ل.ع/39

إعداد الطالبين:

أشرف حريشة

فطيمة جودي

يوم: 2022/06/27.

السماع اللغوي المباشر والتقعيد النحوي عند سيبويه

لجنة المناقشة:

فهيمة لحلوحي	أ. مس.أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
زينب مزاري	أ. مح.أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا ومقررا
وسيلة داودي	أ.مس.ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021م

الشكر والتقدير

فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على أن يسرت لنا إنجاز هذا العمل.

ولا يسعنا ونحن نتمم هذا البحث إلا أن نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان والتقدير إلى أستاذتنا المشرفة الدكتورة "زينب مزاري" لتفضلها بالموافقة على الإشراف لإنجاز هذا البحث، وإخراجه إلى حيز الوجود، فجزاها الله عنا الخير الوفير، وبارك الله في دينها وعلمها وصحتها، وجعلها نبراس علم يستضيء بها الأجيال، وهيهات أن تفي الكلمات جزيل فضلها.

وأخيراً نتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل من مد لنا يد العون، وساعدنا في إنجاز هذا البحث.

فجزاهم الله عنا جميعا الخير في الدنيا والآخرة وزاد في ميزان حسناتهم.

مقدمـــــــــــة

مقدمـــــــة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه وبعد:

يعد السماع اللغوي واحدا من أهم أصول النحو العربي، والأساس الذي بُنيت عليه أغلب قواعد اللغة، فهو الطريق الطبيعي لمعرفة اللغة وتبيان ميزاتها، وهو السبيل لضبط العربية ومعرفة المستعمل منها، لذلك يعد السماع المصدر الأول من مصادر اللغة، وحتى يسمى السماع سماعاً مباشراً لا بد أن يسمع الراوي بنفسه، وينقل ما سمعه، لا ينقل ما سمعه غيره، لأن ذلك يعتبر رواية وليس سماعاً.

ولقد جاء بحثنا موسوما بالسماع اللغوي المباشر والتقعيد النحوي عند سيبويه، والسبب الذي دفعنا لاختيار هذا الموضوع هو ميولنا لدراسة نحوية ومحاولة منا سد ولو جزء بسيط من العثرات الموجودة فينا من الجانب النحوي.

وسبب اختيارنا لسيبويه العالم النحوي لأنه يمثل الخطوة الأولى في التدوين، حيث كان الكتاب لسيبويه أول الكتب النحوية ولقد شمل على العديد من النصوص الدالة على سماعه المباشر من فصحاء العرب دون وسيط ومن بين هذه الألفاظ "سمعت، سمعنا، سمعناه" وكانت غايته استقراء كلام العرب، فهو لم يتأثر بمؤشرات غير عربية وبذلك كان مبدعا أصيلاً في صياغة القواعد النحوية.

وإشكالية بحثنا على النحو التالي: أين تم سماع سيبويه المباشر؟ وما هي العبارات الدالة في الكتاب على سماعه المباشر؟ وكيف تم ضبطه للقاعدة النحوية؟.

ولقد نتج عن هذه الدراسة خطة مكونة من مقدمة ذكرنا فيها أهم ما جاء في المذكرة ملحق تعريفي لحياة سيبويه (اسمه ونسبه ومولده وعلمه وصفاته ووفاته)، والفصل الأول موضوعه "السماع اللغوي المباشر عند سيبويه" ويتضمن ثلاث مباحث رئيسية، المبحث الأول يتكلم عن مفهوم السماع

وأهميته والمبحث الثاني عن الرواية والفصاحة والثالث عن السماع المباشر عند سيبويه والعبارات الدالة في الكتاب على ذلك.

وأما الفصل الثاني موسوم ب التقعيد النحوي عند سيبويه ويتضمن مبحثين، المبحث الأول يتكلم عن مفهوم التقعيد والنحو والقاعدة النحوية عند سيبويه، والمبحث الثاني يتكلم عن مصادر التقعيد اللغوي في الكتاب بين التوظيف والاستدلال.

أما الخاتمة فذكرنا فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج خلال هذا المبحث.

ولقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون المنهج المعتمد وصفي تحليلي لأنه يتبع الموضوع ويحيط بجميع جوانبه، إذ يلجأ إليه الباحث بغرض التوصل إلى معرفة دقيقة تفصيلية.

وأملت طبيعة الموضوع أن يكون للمذكرة مصادر تراثية وبعض المراجع الحديثة ونذكر منها أهمها "الكتاب" لسيبويه والخصائص لابن جني و"السماع اللغوي العلمي عند العرب" و "مفهوم الفصاحة" لعبد الرحمان الحاج صالح و "لسان العرب" لابن منظور و "المدارس النحوية" لأحمد شوقي و "المصطلح اللغوي في كتاب سيبويه" لكمال رقيق و "سيبويه حياته وكتابه" لأحمد بدوي.

وفي مسيرة بحثنا واجهتنا بعض الصعوبات التي تكمن في وجود مشقة في فهم ما جاء في فحوى الكتب القديمة وخاصة الكتاب.

و في الختام أتقدم بخالص الشكر ووافر التقدير إلى كل الذين ساعدوني على السير في طريق البحث وأخص الشكر الأستاذة المشرفة القديرة "زينب مزاري" فقد كان لها كبير الفضل في إنجاز هذا البحث وقد تابعت معنا مسيرة هذا العمل في جميع مراحله منذ أن كان فكرة حتى أصبح خطة مرسومة على الورق إلى أن صار حقيقة ملموسة في عالم الواقع.

وأخيرا نأمل أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذا البحث.

مدخل: سيبويه

1. اسمه ونسبه.
2. مولده ولقبه.
3. علمه شيوخه.
4. أخباره ووفاته.

1. اسمه ونسبه:

هو عمر بن عثمان بن قنبر، ويُكنّى أبا بشير، وقيل أبا الحسن، وقيل أبا عثمان ولكن أثبتها وأشهرها أبو بشير الملقب بسيبويه مولى بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد، ومولى آل الربيع بن زياد الحارثي.[1]

فسيبويه فارسي الأصل ولو أن اسمه عمرو وكنيته أبو بشير، وقد علّل الأستاذ علي النّجدي على هذه الأسماء بقوله: "كل هذه الأسماء تشير إلى والده كان عربياً بدليل تسمية ولده بعمرو وبدليل أن جدّه اسمه قنبر وهو اسم عربي، فربما لم تأت هذه التسمية عفوأ بل ربما كانت ظاهرة من ظواهر الرغبة في الترّف والزلفى إلى الدولة القائمة –الأموية– كدأب الأقليات مع الأكثريات، والمغلوبين مع الغالبين، أو من ظواهر الرغبة في التردد والمسالمة للدولة العربية، التي غلبت العصبية القومية وعرفت بالإيثار العرب والانتصار لها".[2]

يضاف إلى ذلك أنه من أصل فارسي من البيضاء وأن أمه فارسية، وقد لقبته عندما كانت ترقصه وهو صغير بسيبويه، وسيبويه كمة فارسية الأصل كما سنرى، وقد أشار بشار بن برد إلى ذلك حينما هجاه وسماه: (ابن الفارسية) يقول:

سيبويه يا ابنَ الفارسيةِ ما الذي تحدثت عن شتمي وما كنت تنبذُ

أظلت تُغني سادراً في مساءتي وأمك بالمصرين تعطي وتأخذُ.[3]

سيبويه إذًا فارسي صريح من ناحية أمه وناحية أبيه، وربما كانت اللغة الفارسية تحيا نوعًا من الحياة في منزله، وعلى لسان أمه وأبيه، ولعله كان على علم قليل أو كثير بهذه اللغة، لأنه كان كثيرٌ من حَمَلة العلم ودارسي اللسان العربي في تلك العصور من الفرس، والمؤرخون يعلِّلون ذلك بعلل كثيرة، كان من جملتها ولا ريب تَطلُّع الشبَّان ذوي المواهب إلى نيل المناصب السامية في دولة كانت تعتمد على سواعد الفرس، ولقد كان هذا الباعث — بدون شكٍّ — واحدًا من بين الأسباب التي

---

[1] كمال رقيق، **المصطلح اللّغوي في كتاب سيبويه**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان/الجزائر، 2012/ 2013، ص 21.

[2] علي نجدي ناصف، **سيبويه أمام النحاة**، عالم الكتب، (د/ط)، القاهرة، 1979، ص 99.

[3] كمال رقيق، **المصطلح اللّغوي في كتاب سيبويه** ، ص 22.

حفزت سيبويه إلى دراسة اللغة العربية والتبحُّر فيها، كما يدل على ذلك رحلته إلى بغداد، فإنَّها كانت رحلة يريد من ورائها المجد المادي والأدبي، كما سنرى.[1]

2. مولده ولقبه:

لا سبيلَ إلى تحديد سنة ميلاده، فقد أغفلها المؤرخون جميعًا، ولا مَحيصَ لنا من الفرض والتخمين للوصول إلى معرفة تلك السنة على وجه التقريب؛ ذلك أنَّ التاريخ يذكر من أساتذة سيبويه عيسى بن عمر الثقفي الذي يكاد المؤرخون يُجمِعون على أنه تُوفِّي سنة تسع وأربعين ومائة، ويقول ياقوت في كتابه «معجم الأدباء»: «وما يكون قد أخذ عنه إلا وهو يَعقِل، ولا يَعقِل حتى يكون بالغًا، فإذا حَسَبنا لبلوغ سيبويه سنَّ الرشد أربعة عشر عامًا، كان لنا أن نضع ميلاد سيبويه في العام الخامس والثلاثين بعد المائة، ويكون عيسى بن عمر من أوائل الأساتذة الذين أخذ عنهم سيبويه.»[2]

يجهل التَّاريخ كذلك مكان هذه الولادة، فهو لا يعرف البلد الذي رآه للمرة الأولى، ولا يكاد يذكره إلا وهو طالب للعلم، يغدو إلى مجالسه في مساجد البصرة، وبعض المؤرِّخين يروي أنَّه وُلد بالبيضاء التي يصفها ياقوت في «معجم البلدان» بأنَّها مدينة مشهورة بفارس، وأنَّها أكبر مدينة في كورة إصطخر، وإنَّما سُمِّيَت بالبيضاء لأنَّ لها قلعة تَبين من بُعدٍ ويُرى بياضُها، وكانت معسكرًا للمسلمين يقصدونها في فتح إصطخر، وهي مدينة تقارب إصطخر في الكِبَر، وهي تامة العمارة خصبة جِدًّا، ينتفع أهل شيراز بِميرَتِها، وبينها وبين شيراز ثمانيةُ فراسخ، ويُنسَب إليها كثيرٌ من العلماء المبرَّزين، عَدَّ ياقوت منهم جملة صالحة.[3]

سِيبويهِ –بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الباء الموحدة والواو وسكون الياء الثانية وبعدها هاء مكسورة– اسم فارسي معناه رائحة التفاح، وقد قيل أن كل من كان يلقاه يشم منه رائحة الطيب، وقيل سمي بذلك لنظافته، لأن التفاح من لطيف الفواكه، أو تشم منه رائحة التفاح. وقيل أنه سمي بسيبويه، لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين وكان هو في غاية الجمال، وقيل كان يعتاد شم التفاح.

---

[1] أحمد أحمد بدوي، **سيبويه حياته وكتابه**، مؤسسة الهنداوي "سي أي سي"، المملكة المتحدة، 2019، ص 10.

[2] المرجع نفسه، ص 10-11.

[3] السيبويه أبي بشير عمرو بن عثمان بن قمبر، **الكتاب**، (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون)، مكتبة الخانجي بالقاهرة لطباعة والنشر، ج1، ط3،القاهرة، 1988، ص 9.

ولعل سبب اتفاق الأقدمين وبعض المحدثين على ذلك أن (سيب) بالفارسية التفاح و (ويه) الريح، ولكنا نرى أن (سيبويه) يمكن أن تكون مركبة من (سيب) و (بوي) لا (ويه) كما ذكر الخطيب البغدادي لأنها تصبح (سيبويه) بتضعيف الباء ولم ترد هذه اللفظة بالتضعيف، وكل ما ورد من ألفاظ كسيبويه ونفطويه وعمرويه وخالويه خالية من الباء، يضاف إلى ذلك أن معناها لا يتفق مع هذه الألفاظ المختلفة.[1]

3. علمه وشيوخه:

إن العلم الذي كرس له سيبويه معظم وقته، ونبغ فيه وشُهر به، فهو علم النحو، وكتابه فيه كان أول كتاب وصل إلينا في ذلك العلم، ويحفظ التاريخ من أساتذته في تلك المادة سيد أهل الأدب وصاحب العقلية الجبارة الخليل بن أحمد، وهو أعظم اساتذته أثراً فيه، وأكثرهم اتصالاً به و اخذاً عنه، وكان سيبويه يعد أبرع تلاميذ الخليل في النحو وأوثق من حمل عنه.[2]

كانت البصرة أول بيئة للدراسات النحوية، بل كانت مركزها، وكانت الدراسة فيها نوعين: دينية وأدبية فالدينية كالقراءات والتفسير والحديث والفقه، والأدبية كاللغة والنحو والصرف ورواية الأخبار والأشعار وغيرها، وكانت الدراسة حرة غير مقيدة بتنظيم كالذي نراه في العقود المتأخرة، فالعلماء كانوا يعقدون حلقات درسهم في المساجد أو كانوا يقومون بتدريس أولاد الخلفاء والأمراء وذوي الجاه والسلطان في بيوتهم وكان الطلاب يختلفون إليه الحلقات يدرسون ما يحبون من غير تخصص أو توجيه ثابت، وكان أحدهم يدرس جميع العلوم من فقه ونحو وحديث وقراءات ورواية الشعر ولا يترك علماً إلا درسه وظهر فيه، وقد يدرس العلوم كلها، ولكنه يشتهر بواحد منها وينسب إليه فيقال: المحدث أو النحوي أو المفسر أو الرواية وغير ذلك.[3]

وقد تلقى سيبويه علم القراءات واللغة والنحو عن أساتذته "كأبي عمرو بن العلاء" الذي كان عالما بالقراءات واللغة، ونقل عنه في كتابه كثيراً ولا سيما في القراءات والأصوات اللغوية ورواية الشعر والأمثال وكان أستاذاً لأستاذيته "الخليل بن احمد الفراهيدي"، ويونس بن حبيب" اللذين روى سيبويه عن طريقهما أقوال أبي عمرو بن العلاء، ولا نظن أن سيبويه لم يتصل بأبي عمروا أو لم يأخذ عنه،

---

[1] كمال رقيق، **المصطلح اللّغوي في كتاب سيبويه** ص 22-23.

[2] أحمد أحمد بدوي، **سيبويه حياته وكتابه** ص 12.

[3] خديجة الحدثي، **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**، مكتبة النهضة، ط1، بغداد،1965، ص 52.

لأنه أخذ عن عيسى بن عمر مع أنه توفي سنة 149هـ ومن المحتمل أنه اتصل به أو حضر حلقات الدرس التي كان يعقدها واستفاد من آرائه في الكتاب.[1]

ومع ملازمة سيبويه للخليل، كان لا يبرح يرتاد كبار الشيوخ والأئمة...وألمع شيوخه وهم:

- **حماد بن سلمة بن دينار البصري:** ولعله أول من أخذ عنه العلم وكان حماد هذا مولى تميم، وقيل لقريش، روى عنه كثير من التابعيين فمن بعدهم، وكان مفتي البصرة ومن العباد المجاب الدعوة، ولم يكن بالبصرة قريناً له من الفضل والدين والنسك والقمع لأهل البدعة... كان عالماً بالنحو ذكره الزبيدي في الطبقة الخامسة من النحاة مع الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب وهو أستاذ يونس، وهو الذي دفع سيبويه إلى حذق النحو بسبب تخطئته إياه في بعض المسائل النحوية واللغوية كما سبق القول، توفي حمادة سنة 167هـ.[2]
- **الأخفش الأكبر:** عبد الحميد بن مجيد أبو الخطاب، مولى بني قيس بن ثعلبة وهو شيخ يونس: كان ديناً ورعاً ثقة، من أئمة اللغة والنحو. وله ألفاظ لغوية انفرد بها ينقلها العرب. وكان قد لقى الأعراب وأخذ عنهم وعن أبي عمرو بن العملاء وطبقته، وأخذ عنه سيبويه اللغة وشيئاً من النحو وروى عنه في كتابة نحو 47 مرة ولم تعرف سنة وفاته إلا ما ذكروا أنه إماماً في العربية قديماً.
- **يعقوب بن اسحاق زيد عبد الله بن ابي اسحاق الحضرمي البصري القارئ:** وكان أعلم الناس في زمانه بالقراءات العربية، وله قراءة مشهورة هي إحدى القراءات العشر. توفي سنة 250هـ عن 88 سنة.
- **عيسى بن عمر الثقفي البصري:** أبو سليمان، مولى خالد بن الوليد، نزل في ثقيف فنسب إليهم أخذ عبد الله بن أبي إسحاق مولى آل الحضرمي الذي قيل أنه أوّل من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل، توفى سنة 149هـ.
- **أبو عبد يونس بن حبيب الظبي:** مولى بني ضبة، من أهل جبل وهي بلدة بين النعمانية وواسط –أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعن حماد بن سلمة كما سلف القول، وقد أكثر سيبويه في النقل عنه، نحو 200رواية. فكان ثاني العلماء الذين أكثر سيبويه من النقل عنهم.

---

[1] سيبويه أبي بشير عمرو بن عثمان بن قمبر، **الكتاب** ، ص 167.

[2] علي نجدي ناصف،**سيبويه أمام النحاة** ، ص 16.

ـ **الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري**: هو الأستاذ الأكبر لسيبويه، كان عفيف النفس، وقد لزمه سيبويه يأخذ عنه اللغة والنحو، وكان الخليل يفسح له صدره، وكان يحبه حبا، ولد الخليل سنة 100هـ وتوفي 175هـ وتوفي 175هـ وغيرهم.

4. أخباره ووفاته.

لم نعثر في الكتب المتقدمة على اخبار طفولة سيبويه، وتتحدث عن نشأته وصباه، وقلنا أن كل ما قيل عنه أنه ولد في البيضاء ونشأ في البصرة، ولسنا ندري كم سنة من سنين حياته قضى في البيضاء، وفي أي سنة انتقل إلى البصرة؟ ومن كان معه من أهله وذويه؟ لأن المؤرخين لم يذكروا إلا اسم أبيه وجده وكنيته، وأشاروا إلى أمه التي لقبته بسيبويه حينما كانت ترقصه وهو صغير، ومن هذه الروايات يفهم أن أمه كانت على قيد الحياة حينما كان طفلاً، ولكنا لا ندري هل طال بقاؤها واكتحلت عيناها برؤيته وهو شاب ولا نعرف هل فرح به أبوه وهو في أوج عظمته العلمية، وربما أفل المؤرخون المعاصرون له ذلك، لأنه كلما قلنا لم يكن من اسرة عريقة، ولو علموا أن هذا الشاب الفارسي الذي ترك قريته ونزل في البصرة سيكون له الشأن عظيم لتحدقوا عنه وصّلوا في أخباره تفصيلاً عظيماً، ولكن سيبويه لم يشتهر بينهم بحسب ونسب وإنما اشتهر بذكائه الوقاد وعلمه الغزير وأدبه الجمْ، ولم ينتبه إليه المؤرخون إلا بعد أن واراه الثرى وبع أن ذاع كتابه في الآفاق.[1]

وقد وردت إشارة إلى أخيه الذي كانت تربطه به روابط الحب والمودة، وكان كظله حيثما حلّ وارتحل، ولعله لم يكن ليسبيويه غيره، فقد قالوا أنه لما اعتلّ وضع رأسه في حجر أخيه وأغمي عليه فبكى أخوه لما رأى ما به وانحدرت من عينه دمعة حّرى على وجه سيبويه الذي فتح عينيه وقال حينما رآه يبكي:

أُخيَّينِ كُنا فَرّقَ الدّهرُ بيننا إلى الأمد الأقصى ومن يأمن الدهرا.[2]

[1] المرجع نفسه، ص 24-25.

[2] المرجع نفسه، ص 25.

ويظهر أنَّ الصدمة كانت شديدة عليه فلم يحتملها، ولم يلبث أن مات غمًّا بالذرب؛ وهو فساد المعدة، وأعجله الموت، فلم يصل إلى بلده البيضاء، بل وافاه الأجل في شيراز أو بساوة بالقرب منها سنة ١٨٠ هجرية، ومما يدلُّ على أثر الصدمة في نفس سيبويه أنه كان يتمثَّل عند موته قائلًا:

يُؤمِّل دنيا، لتبقى لهفماتَ المؤمِّل قبلَ الأَمل

روى الأصمعي أن سيبويه مدفون بشيراز، وأنه قرأ على قبره هذه الأبيات، وهي لسليمان بن يزيد العدوي:

ذَهَبَ الأحبَّةُ بعدَ طولِ تَزاوُرٍ
ونَأَى المزارُ، فأَسْلَموكَ وأَقْشَعُوا
تركوكَ أوحَشَ ما تكونُ بقفرةٍ
لم يُؤنِسوكَ، وكربةً لم يَدْفَعُوا
قُضِيَ القَضاءُ، وصِرْتَ صاحبَ حُفرةٍ
عنكَ الأحبَّةُ أَعْرَضُوا وتَصَدَّعُوا

وذلك هو ما أُرَجِّحه من تلك الروايات التي نجدها في الكتب التي أرَّخت لسيبويه، فابن نافع وحدَه يذكر أنه مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، وهو قولٌ لم يُؤَيِّده فيه أحد، وغير معقول أيضًا؛ لأن سِنَّه حينئذٍ لم تكن قد تجاوزت الخامسة والعشرين بكثير، وهو ما لم يَقُلْه مؤرخ، ويرى ابن خلكان — غير متثبت — أنه وصل إلى البيضاء ومات فيها، ويروي ابن النديم أنه عاد إلى البصرة، ثُمَّ ذهب إلى فارس، وعودته إلى البصرة مشكوك فيها بعد هذا الإخفاق.

وتحديدنا سنة وفاته بمائة وثمانين تحديد ترجيحي كذلك، وحسبي أن أذكر أن بعض الرواة يضعها سنة إحدى وستين ومائة، وابن الجوزي يضعها سنة أربع وتسعين ومائة، والفرق بين التاريخين ثلاث وثلاثون سنة، أمَّا سبب ترجيحنا فإن أكثر الرواة عليه، ويُرجِّحه ابن الأنباري، بدليل أنه مات قبل الكسائي، والكسائي مات سنة ثلاث وثمانين ومائة.[1]

كانت سِنُّ سيبويه عندما تُوفِّيَ تزيد على الأربعين، وعلى حسب ما حددنا تكون سنُّه زهاء خمس وأربعين سنة، وهو المعقول بموازنة التواريخ، فليس بمعقول إذًا أن نقبل قول الأستاذ أحمد أمين

[1] أحمد أحمد بدوي، **سيبويه حياته وكتابه**، ص 19.

الذي يضع تاريخ وفاته في الثمانين بعد المائة، ثُمَّ يقول إنه مات وعمره نيف وثلاثون سنة؛ لأننا قلنا إنه أخذ عن عيسى بن عمر الذي تُوفِّيَ سنة تسع وأربعين ومائة، فيكون سيبويه حينئذٍ في المهد صبيًّا.[1]

[1] أحمد أحمد بدوي، **سيبويه حياته وكتابه**، ص 19-20.

الفصل الأول: السماع اللغوي المباشر عند سيبويه.

المبحث الأول: مفهوم السماع وأهميته.

المطلب الأول: مفهوم السماع .

المطلب الثاني: أهمية السماع.

المبحث الثاني: الرواية والفصاحة.

المطلب الأول: رواية اللغة والرواة.

المطلب الثاني: الفصاحة وحدودها.

المبحث الثالث: السماع المباشر عند سيبويه.

المطلب الأول: العبارات الدالة على السماع المباشر.

المطلب الثاني: شبهات بعض المنكرين لسماع سيبويه.

المطلب الثالث: الرد على الشبهات.

المبحث الأول: مفهوم السماع وأهميته.

إن المتتبع لأصول النحو العربي، والباحث عن تطور فنون اللغة والأدب سيجد أن كل قواعد النحو انتقلت عن طريق السماع، لذلك سنحاول من خلال هذا المبحث التطرق لمفهوم السماع وتبيان أهميته.

المطلب الأول: مفهوم السماع.

إن السماع هو أحد المصطلحات والمفاهيم التي لم يتفق العرب على إعطاء معنى محدد لها بدقة، نظراً لاختلاف الحقب التاريخية، وكذا التنوع في القبائل العربية التي تختلف لهجاتها وتفسيراتها.

أ– لغة:

قال **ابن منظور** "السمعُ" حس الأذن وقال ثعلبٌ: معناه حنا له فلم يشتغل بغيره.

قال **اللحياني**: وقال بعضهم السمع المصدرُ، والسمعُ: الاسم والسمع أيضاً الأذن، والجمع أسماع. وابن السُكيت: السمع سمع الإنسان وغيره، يكون واحداً وجمعاً.[1]

مصدر سَمِعَه، وإليه، وله، ومنه، سمعاً وسماعًا وسماعةً وسماعية: إذا أدرك الاصوات بالحاسة المعلومة.

وخلافه القياس.

[1] إبراهيم أحمد محمد شويحط، **السماع اللُغوي المباشر عند النحاة قبل سيبويه**، مكتبة لسان العرب، (د/ط)، جامعة اليرموك، 2012/2011، ص2.

ب – اصطلاحـــــــا :

عرف ابن الأنباري السماع بقوله: "هو كلام العربي الفصيح، المنقول بالنقل الصحيح، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة، فخرج عنه –إذا– ما جاء في كلام غير العرب من المولدين، ما شذ من كلامهم كالجزم ب(لن) والنصب ب(لم)...".[1]

يعدُ السماع الأصل الأول من أصول النحو، والأساس الذي قامت عليه الدراسات النحوية في بواكيرها الأولى، والسماع هو الرواية، وذلك بأن يكون الراوي سمع بنفسه ما يرويه غيره فإن كان هناك ما يفصل بين الراوي السامع والمروي عنه، كأن يكون بينهما راو آخر أو كتاب مؤلف، فيعد ذلك رواية لا سماعًا، فالسماع هو الأخذ المباشر للمادة اللغوية عن الناطقين بها، والرواية هي الأخذ غير المباشر للمادة اللغوية، فالرواية عامة والسماع خاص لا يصدق إلا بالمشافهة.

وقد اهتم به الدارسون الأوائل لأنهم باشروا جمع اللغة وتدوينها فروي أن الكسائي سأل الخليل "من أين أخذت علمك هذا؟" فأجابه: من بوادي الحجاز ونجد تهامة"، ونقل ياقوت الحموي أن الكسائي: "خرج إلى الحجاز فأقام مدة في البادية، حتى حصل من ذلك ما ذكر أنه أفنى عليه خمسة عشرة قنينة من الحبر غير ما حفظه".[2]

فالسماع يقضي مشافهة الاعراب والنقل عنهم، وكان السماع يخضع لشروط معينة عند البصريين فقد حددوا أطلسهم اللغوي للقبائل العربية، وبينوا تفاوتها في الفصاحة، ويتجلى ذلك في قول أي زيد الأنصاري: "لست أقول قالت العرب إلا إذا سمعته من هؤلاء: بكر بن هوزان، وبني كلاب، وبني هلال، أو من علية السافلة أو سافلة العالية".[3]

---

[1] ابن الأنباري، عبد الرحمان بن محمد، **لمع الأدلة في أصول النحو**، (تحقيق : سيد الأفغاني)، مطبعة الجامعة السورية، (د/ط)،دمشق، 1957، ص 55.

[2] بوزيد طبطوب، **محاضرات في أصول النحو للسنة الثانية دراسات لغوية**، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد لمين دباغين –سطيف2–، 2016/2015، ص 25-26.

[3] المرجع نفسه، ص 26.

وانطلاقا من هذا نستنتج بأن السماع هو الأصل اللغوي الأول للكثير من علماء اللغة، لأنه جاء نتيجة النقل عن الآخرين، لهذا يعد السماع مختلف من عالم لآخر بسبب التفاوت في الفصاحة عند قبائل العرب.

المطلب الثاني: أهمية السماع.

تنبعث أهمية السماع في تحصيل فطرة اللغة، حيث كان العرب في العصر الجاهلي يتخذون من السماع وسيلة لتربية آبنائهم منذ الصغر على الفصاحة، فكانوا يرسلونهم إلى الباديةِ موطن الفصاحة والفراسة في اعتقادهم الراسخ.

وأكبر مثال يضرب في هذا الاعتقاد الراسخ لدى العرب هو قصة تربية سيدنا محمد صل الله عليه وسلم على يد حليمة السعدية في مضارب بني سعد، فقد أشار صل الله عليه وسلم إلى آثر هذه النشأة في الفصاحة، فقال: "أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد".

وقد نص القرآن الكريم إلى أهمية السمع في غير آية. ولنا في رسول الله صل الله عليه وسلم القدوة الحسنة في أهمية السماع إذا حفظ القرآن الكريم سماعاً من جبريل فأسمعه للناس بلسانه وهو الإنسان الآمي الذي لا يقرأ ولا يكتب.[1]

ويلاحظ المطلع والمتتبع لتراثنا اللغوي اهتمام علمائنا العرب القدماء بالسماع عن الأعراب فقد نص علماء اللغة على أهمية السماع في تحصيل اللغة وتنميتها، وجاء في المزهر: "تؤخذ اللغة إعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات، وتؤخذ تلقناً من ملقن، وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة ويتقى المضمون"..

[1] محمد بن حسن الصايغ، **اللمحة في شرح الملحة**، (تحقيق : إبراهيم بن سالم صاعدي)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية،ط1، المدينة المنورة/السعودية، 2004، ص 495.

السماع الفطري وهو ما يكتبه الفرد طفلاً من أبويه وعائلته، ولفت "**إبن جني**" إلى أهمية السماع في تنمية ملكة الفرد اللغوية التي يكتسبها من أبناء جماعته، وذلك عند اتصال العرب ببعضهم البعض، فقال: "إنهم بتحاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة، فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته". ويقول "**الجاحظ**" أثر السماع في الفصاحة والتقويم فيقول: "إنه ليس في الأرض كلامٌ هو أقنع ولا آنق ولا ألذ في الأسماع ولا أشد إتصالاً بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقوم للبيان من طول استماع حديث العرب للفصحاء والعقلاء والعلماء البلغاء".[1]

وبناء عليه نستنتج أن السماع دليل أساسي من أدلة النحو التي قام عليها علم النحو وأصوله باتفاقٍ، إذ لم ينكره أحدٌ؛ وهو أولها و أقواها، لأنه لا يحتاج إلى غيره من الأدلة، وتحتاج إليه جميعها، فكلها مرتبطة به.

[1] إبن جني، **الخصائص**، (تحقيق: محمد علي أنصار)، دار الكتب، (د/ط)، القاهرة/مصر، 1952، ص 16.

المبحث الثاني: الرواية والفصاحة.

يعتبر الرواة من بين الأوائل الذين فصلوا في معاني اللغة العربية، واهتموا بشأنها على اختلاف الحقبات الزمنية حتى يكون للغة معنى محدد بينهم، لكن هذا اللفظ وجد صعوة كبيرة في تعميمه نظرا لعدم الاتفاق بين علماء اللغة في منح اسم الراوي لكل من تفنن في شأن الرواية واللغة العربية، وبناءا على هذا سنحاول من خلال هذا المبحث أن نتطرق لرواية اللغة والرواة، وكذلك الفصاحة وحدودها بسبب اختلاف المعجمات العربية في تحديده مصطلح الفصاحة.

المطلب الأول: رواية اللغة والرواة.

1. رواية اللغة:

كانت هذه اللغة سليمة من الفساد خالصة من النشوب والإسلام لا يزال في ريعانه واندلاع موجته. والعرب في أمر الأدب على إرث جاهليتهم، يأخذون في سمعتها ويتجاذبون على مناهجها.

ولقد تتبعنا الأطوار التي تعاقبت على هذا اللسان حتى أطلق عليه المعنى العلمي، الذي يفهمه المتأخرون عند إطلاق لفظة (اللغة) وراوي يقال فيه وفي العالم به، اللغة واللغوي لنستخرج تأريخ هذه الكلمة (اللغة في دلالتها الاصطلاحية، فرأينا أن بداءة هذا التاريخ كانت لمحمد النبي صل الله عليه وسلم حين جاءته وفود العرب فكان يخاطبهم جميعاً على اختلاف شعوبهم وقبائلهم تباين بطونهم وأفخاذهم وعلى ما في لغاتهم من اختلاف الأوضاع وتفاوت الدلالات في المعاني اللغوية على حين أن أصحابه رضوان الله عليهم ومن يقد عليه من وقود العرب الذين لا يوجه لهم خطاب كانوا يجهلون من ذلك أشياء كثيرة حتى قال له علي بن أبي طالب[1] كرم الله وجهه وسمعه يخاطب وقد بني شهد: يا رسول الله شحن بنو أب واحد وتراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره.

[1] مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، هنداوي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ت 2012/08/26، (د/ط)، ص 288.

فكان الرسول صل الله عليه وسلم يوضح لهم ما يسألونه عنه مما يجهلون معناه من تلك الكلمات ولكنهم كانوا يرون هذا الاختلاف فطريا في العرب فلم يلتفتوا إليه.

فلما تكلموا في تفسير القرآن وغريب الحديث، وكانوا يلتمسون لذلك مصادقة من أشعار العرب وضح هذا المعنى اللغوي ولكنهم لم يصطلحوا على تسميته إذ كانت السلائق لا تزال متساندة.[1]

2. الرواة:

وكان أبو الأسود الدوئلي قد روى الشعر وتبع كلام العرب واستقصى في ذلك وبالغ ومع ذا قلم يسمى علم هذا الكلام (باللغة) ولم يعرف في زمنه إلا "العربية" للنحو وإلا الغريب لمثل ما يسميه المؤرخون بالكلام اللغوي.

وأشهر من عرف بالغريب يومئذ يحي بن يعمر العدواني وهو آخر أصحاب أبي الاسود، ثم لما اتسعت العربية وفشا اللحن وفسد الكلام وجعل الناس يبغونها عوجاً وذلك في أواخر القرن الثاني وخرج الرواة إلى البادية يتلقون عن العرب. ويتحققون معاني العربية وأبوابها وصارت اللغة لغتين العربية والمولدة، بل صارت العربية وكأنها في الاعتبار العلمي لغتان بما قام بين البصريين والكوفيين، وتحقق كلتا الطائفتين بمذاهب متميزة فمن ثم وجد الناس السبيل إلا تسمية ما يؤخذ عن العرب باللغة لأنها صارت من (العهد الذهبي) بعد اشتغال العلماء بها، وبعد تمييزها عما إنتهت إليه لغتهم المولدة.[2]

فلما وضع الخليل بن أحمد كتاب (العين) الذي رتب فيه كلام العرب وضع به علم اللغة وثمن هذه الكلمة على الناس بما صنع.

---

[1] مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب** ،ص 290.

[2] ينظر، ص 290-291 .

بيد أن الرواة وهم القائمون بفنون اللغة لم يكن يطلق على أحد منهم (اللغوي) إلا بعد أن ضعفت الرواية في أواخر القرن الثالث. وذلك لأن أحد منهم لم يتخصص من الرواية بعلم الألفاظ دون سائر فنونها من الخبر والشعر والعربية ونحوها، ولم يتفق على هذا اللقب (اللغوي) في كلام أحد من علماء القرون الثلاثة الاولى وقد كان يوجه في الرواة من تغلب عليه النوادر وهي أساس علم اللغة كأبي "**زيد الأنصاري**" المتوفي سنة 216، وكان أحفظ الناس للغة وأوسعهم رواية وأكثرهم أخذاً من البادية. ومع ذا فلم يلقبوه باللغوي ووجد فيهم كذلك من انفرد بأولية التصنيف في بعض الأنواع اللغوية المحضة كقطرب المتوفي، وهو أول من ألف المثلث في الكلام وكان يرمي بإفتعال اللغة أيضاً كما سيجيئ ولكن لم يلقبه أحد باللغوي.[1]

وعندنا هذا اللقب إنما ظهر في القرن الرابع بعد أن استفاض التصنيف في اللغة وتميزت العلوم العربية واستعجمت اللغة فصار صاحب اللغة يعرف كما ينسب كل ذوي علم إلى علمه الغالب علي، وخلق ذلك اللقب لقب الرواية ومما عرفوا به في القرن الرابع، أبو الطيب اللغوي صاحب كتاب (مراتب النحويين)، وإبن دريد صاحب (الجمعرة) والجوهري صاحب (الصحاح) وغيرهم.

ثم فشا بعد ذلك وأكثر أصحاب الطبقات من استعماله الخطأ حتى وصفوا به صدور الرواة لأنهم لا يرون فيه أكثر من معنى العلمي، أما الألفاظ بفروقها فهي ألفاظ الناس جميعاً فلا تاريخ لها إلا التاريخ كله، والله أعلم.[2]

[1] مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب** ، ص 291.

[2] المرجع نفسه، ص 292.

المطلب الثاني: الفصاحة وحدودها.

1. الفصاحة:

في معجمات اللغة يتبين من استقراء مادة (ف، ص، ح) في معجمات اللغة أن أصلها الذي فرعت منه هو الخلصة والنقاء وأن هذه الدلالة تربط مفردات المادة كلها ويتجلى ذلك في الإستعمالات التي وردت في تلك المادة، وهي:

❖ **اللبن الفصيح**: ويظهر الخلوص فيها في (ذهاب اللبأ من اللبن وكثرة مخضه وذهاب رغوته)، فذهاب اللبأ وهو أول البن وذهاب رغوته وهي زبده يعني خلوصه من شوائبه.

وقد ذهب بعض العلماء إلى البيان فيه بل أن أصحاب (اللسان) و (القاموس) و (التابع) بدأو المادة اللغوية (الفصاحة البيان) أما هؤلاء لعلهم اعتمدوا ما كان يشيع في بيئة البلاغيين من ترادف معاني الفصاحة والبليغ يبلغ بعبارة لسانه لكنه ما في قلبه. وعارته في البلاغة قريبة من عبارة الرازي : "بلوغ الرجل كنه ما في قلبه".[1]

وقال الفيروز آبادي: "إن اللفظ الفصيح ما يدرك حسنه بالسمع وهو ما ذهب إليه رجال البلاغة"، كما قال الزبيدي في (التاج) ينقل قوله شيخه عن أئمة: "الاشتقاق وأهل النظر و ائمة المعاني والبيان وهذا يبين على أنهم اعتمدوا على المعنى المقرون بالخلوص لا الأصل اللغوي المتوارث".[2]

أما "**الزمشخري**" في معجمه أساس البلاغة: فصح: سقاهم لينا فصيحا وهو الذي أخذت رغوته أو ذهب لباؤه ومن المجاز سرينا حتى جاء به الصبح المفصح وهذا يوم مفصح وفصح، لا غيم ولا قر، وانتظر نفصح من شتاتنا أي نخرج ونتخص وجاء فصح النصاري أي يوم بروزهم إلى معيدٍ عم وفصح الأعجمي تكلم بالعربية الفصحى انطلق لسانه بها وخلصت لغته من اللكنة.[3]

---

[1] محمد كريم الكواز، **الفصاحة في العربية المفاهيم والأصول**، الإنتشار العربي، بيروت/لبنان، ط1، 2002، ص30

[2] المرجع نفسه، ص 49

[3] الزمخشري، **أساس البلاغة**، (تحقيق: باسل عيون السود)، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط1، ج2، 1998، ص 24.

❖ **في القرآن الكريم:**

لم يرد في القرآن الكريم من مادة (فصيح) إلا إسم لتفضيل على لسان موسى عليه السلام في قوله تعالى: **"وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رداء يصدقني إني أخاف أن يكذبون" القصص الآية 34.**

قال أبو عبيد 210هـ وقوله: **"هو أفصح مني لساناً"** لأن موسى كان في لسانه عقدة.[1]

❖ **في الحديث الشريف:**

وفي الحديث الشريف قوله صل الله عليه وسلم (**غفر له بعد كل فصيح وأعجم**)، أراد بالفصيح بني آدم وبالأعجم البهائم وهكذا فسر في الحديث.[2]

❖ **في الشعر:**

وردت مشتقات مادة (فصح) في الشعر كثيراً ومنه قول "حميد بن الثور الهلالي" يصف حماقة:

تعجبت لها أن يكون غناؤها فصيح ولم تفخر بمنطقها فما.[3]

❖ **الحدود:**

ومن المقاييس الزمانية والمكانية يشير "الحاج صالح" أن بعض الباحثين المحدثين يقولون أن العربية أخذت من أهل البدو وكاها في زمان معين ومن بعض القبائل دون بعض وأن جل ما إعتمد عليه النحاة كان شعراً ولا ما دونوه كان خليطاً بين اللغة المشتركة الأدبية واللهجات ويعتقدون أن لغة تخاطبهم اليومي هي اللهجات، فالفصاحة في الأصل هي الملكة اللغوية الخاصة بالذين يفهمون وينطقون باللغة التي نزل بها القرآن وهم هنا كمرجع زماني ومكاني.

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، (تحقيق: عبد السلام هارون)، ج1، مكتبة الخائن، ط7،القاهرة، 1998، ص 7.

[2] محمد كريم الكواز، **الفصاحة في العربية "المفاهيم والأصول"**، ص 18.

[3] المرجع نفسه، ص 20.

ونجد أن عبد الرحمان الحاج صالح في رده على هؤلاء ركز على ثلاثة حقائق هي:

1) لم تكن الفصاحة مقصورة في القرنيين الأول والثاني على أهل البدو وكلها، ففي زمان الجاحظ والمبرد إذا كانت رقعة الفصاحة العفوية في بداية القرن الثاني يعيش جل اهلها الحواضر بل قد ولدو بعض من إستشهد بكلامهم في الكوفة والموصل وكان منهم خطباء ثم الإستشهاد بكلامهم.[1]

2) لم تكن الفصاحة مقصورة على القدامى من العرب، إن المقياس الوحيد لدى النحاة هو بقاء الملكة اللغوية العفوية عند بعض العرب ولم يكن المقياس التمسك بالقديم فالعلماء الأولون كانوا يأخذون من معاصريهم ويمتنعون من ذلك بالنسبة إلى من هو أقدم ممن تغيرت لغتهم.

3) لم تكن الفصاحة مقصورة على العرب الأقحاح، فقد رد الحاج صالح على من أدعى أن مقاييس الفصاحة كان عنصريا بدعوة أن أعجمي الأصل لا يمكن أن يبلغ العربي من القدرة على التعبير الفصيح بأنه وصم خطير جداً، ويكفي لرد عليه إستحضار بعض أسماء الشعراء الذين كانوا من أصل غير عربي فلم تكن لهم لغة أخرى تؤثر فيهم وأفضل مثال "المنتجع بن نهبان".[2]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، **السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة**، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، (د/ط)، الجزائر، 2007، ص 46.

[2] عبد الرحمان الحاج صالح، **السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة** ، ص 69.

المبحث الثالث: السماع المباشر عند السيبويه.

نظرا لأهمية السماع في النحو العربي؛ سنحاول من خلال هذا المبحث أن نتحدث عن السماع عند الأب الروحي للغة العربية وقواعدها "السيبويه" من خلال عرض العبارات الدالة على السماع المباشر عنده، ثم عرض أراء بعض المنكرين لسماعه، وبعدها نحاول قدر الإمكان الرد على هذه الشبهات بما اقر بها علماء اللغة قديما وحديثاً.

المطلب الأول: العبارات الدالة على السماع المباشر.

نص كثير من الدارسين المحدثين على أن سيبويه كما سمع شواهد اللغة على قواعد النحو وأحكامه من شيوخه يروونها عن العرب الفصحاء السليقيين سمع هو نفسه جملة منها من هؤلاء العرب، وصرح بسماعه المباشر منهم في الكتاب في مواضع كثيرة وبمناسبات عديدة، غير أن الذي اختلف فيه هؤلاء الدارسون هو ما إن كان سماع سيبويه المباشر تم كله في البصرة وفي المربد على الخصوص من الوافدين غليها من الأعراب الفصحاء، أم أن منه ما سمعه في رحلة أو رحلات إلى البوادي كما فعل شيوخه أمثال الخليل وأبي زيد؟ كما أن سيبويه سمع كثيراً من فصحاء العرب مباشرة ودون وسيط فهو شيء يعرفه كل من تصفح الكتاب ولو مجرد تصفح، لأنه سيلقاه في مواضع كثيرة منه عبارة من مثل "سمعت" و "سمعنا" و "وسمعناه"، وفي هذا قال الشيخ محمد عبد الخالط عضيمة: "الناظر في كتاب سيبويه يقف على كثير مما اعتقد فيه سيبويه على سماعه من العرب واحتكامه إلى ذلك، وكان يلون الحديث عن ذلك".[1]

وقد صرح سيبويه بسماعه المباشر في الكتاب وبأجزائه الأربعة وكان ذلك بعبارات دالة نذكر منها:

[1] محمد عبد الخالق عظيمة، **فهارس كتاب سيبويه**،الناشر المؤلف، ط1، القاهرة، 1975، ص 121.

في الجزء الأول:

وهذه حُجَجٌ سُمِعَتْ من العرب وممّن يوثق به،يَزْعُمُ أنه سَمِعَها من العرب. ومضى يوثقه، يزعم أنه سمعها من العرب[1] فربما جاء في النصب أنا سمعنا من يوثق بعربيته يقول: خلق الله الزرافة يديها طول من رجليها[2]... وإن شئت رفعته فقد سمعنا رفع بعضه من العرب، وممن سمعه من العرب فجاز إضمارُ ما يرفع كما جاز إضمارُ ما ينصبُ، ومن ذلك قولك: أو فرقا خيرا من حب أو أفرقُك فرقا.[3]

واعلم أنَّ من العرب من يَرفع سلاما إذا أراد معنى المبارأةِ،كما رفعوا حَنانٌ. سمعنا بعضَ العرب يقول " لرجل ": لاتكونن مني " في شيء " إلاَّ سلامٌ بسَلامٍ،إلى أمرى وأمرُك المبارأةُ و المتاركةُ. وتركوا لفظ ما يَرفعُ كما تركوا فيه لفظَ ما يَنصب،لأنَّ فيه ذلك المعنى،ولأنَّه بمنزلة لفظِك بالفعل.[4] وأعلم أن هذه الأشياء كلها انتصابها من وجه واحد ومثل ذلك: هو انتصابها من وجه واحد ومثل ذلك: هو صددك، وهو شقتبك، وهو قُربك وأعلم أن هذه الاشياء كلها قد تكون اسماء غير ظروف، بمنزلة زيد وعمرو. سمعنا من العرب من يقول: دارُك ذات اليمين. وقال الشاعر وهو لبيد: فغذت، كلا الفرجين تحسب أنه...مولى المخافة خلفها وأمامُها.[5]

كذا سمعنا العرب تنشده والقوافي محررة، ومنه أيضا: مررت بثلاثة نفر: رجلين مسلمين ورجل كافر، جَمعت القسم وفصلت العدة بنعته وفسرته. وإن شئت أجريته مُجرى الأول في الإبتداء فرفعته، وفي البدل متجرةٌ قال "الرجل، وهو" العجاج خوى على مستويات خمس...كرَّكَرةٍ وثغنات مُلسِ وهذا يكون على وجهين على البدل، وعلى الصفة ومثال ما يجيء في هذا الباب على الإبتداء وعلى الصفة والبدل، قله عز وجل: قد كان لكم" به في فئتين لتقتا فئة تقاتل في سبيل والله وأخرى كافرة" (سورة آل عمران، الآية 13.)

---

[1] سيبويه أبي بشير عمرو بن عثمان بن قمبر، **الكتاب**، (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون)، ج1، ص 255.

[2] المصدر نفسه، ص 155.

[3] المصدر نفسه، ص 168.

[4] المصدر نفسه، ص 326.

[5] المصدر نفسه، ص407.

في الجزء الثاني من الكتاب أيضا العديد من العبارات الدالة على سماع سيبويه المباشر نذكر منها ما يلي:

وقد سمعنا من العرب من يقال أنه ذهبنا معهم فيقول: من منيّ؟ وقد رأيته، فيقول: منا أو رأيت منا. وذلك "أنه يسأله على أن الدين ذكر ليسوا عليه المحدث فهو ينبغي له أن يسأل في ذا الموضع كما سأل حين فهو ينبغي له أن يسأل في ذا الموضع كما سأل حين قال رأيت رجلاً[1] ومن جواز الرفع في هذا الباب أني سمعت رجلين من العرب عربيتين.[2]

وفي **الجزء الثالث** ذكر أيضاً:

تقول هذا حذام ورأيت حذام قبل، ومررت بحذام قبل سمعت ذلك ممن يوثق بعلمه.[3]

واعلمأنفعالجائزةمنكلماكانعلىبناءفعلأوفعلأوفعل،ولايجوزمنأفعلت،لأنالمنسمعهمنبناتالأربعة،إلاّأنت سمعشيئاًفتجيزهفيماسمعتولاتجاوزه. فمنذلك: قرقاروعرعار.[4]

وفي **الجزء الرابع** ذكر أيضا:

سمعت العرب يقولون: ضربتضربه،وأخذتأخذه،وشبهالهاء.[5]

وذلك قولك: "ضربته،واضربه،وقده،ومنه،وعنه.

سمعتذلكمنالعرب،ألقواعليهحركةالهاءحيثحركوالتبيانها. قالالشاعر،وهوزيادٌالأعجم.[6]

---

[1] السيبويه أبي بشير عمرو بن عثمان بن قمبر، **الكتاب**، (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون)، ج1، ص 132.

[2] المصدر نفسه، ص 412.

[3] السيبويه أبي بشير عمرو بن عثمان بن قمبر، **الكتاب**، (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون)، ج3، ص 279.

[4] المصدر نفسه، ص 280.

[5] السيبويه أبي بشير عمرو بن عثمان بن قمبر، **الكتاب**، (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون)، ج4، ص 140.

[6] المصدر نفسه، ص 179.

سمعت ممن يروي هذا الشعر من العرب ينشده: لايُبْعِدُاللهأصْحَاباًتَرَكْتُهُمُ...لمأدْرِبعدغَداةِالبَيْنِماصنع.[1]

وقال "**أ،د عبد الرحمان الحاج صالح**": "أحصينا عدد المرات التي سمع سيبويه فيها هو بنفسه من العرب مباشرة فبلغ خمسة وثمانين مرة، وينبغي أن تضرب في عشرة وأكثر، لأن الذين تناولهم بالسماع كثيرون جداً"،[2] وأما أنه سمع من عرب البصرة والأعراب الوافدين إليها فهو ما لا ينكره كل ما أثبت السماع المباشر لسيبويه، مثل الدكتور أمان الدين حتحات فإنه قال: "عاش سيبويه غي عصر أدرك فيه العلماء الخطر الذي أحاط بلغة القرآن الكريم لكن مدينة البصرة التي عاش فيها كانت حصناً منيعاً للغة، هي وبعض الحواضر الأخرى كالكوفة مثلا، وقد ساعده وجوده في البصرة على أن يتلقى الاعراب في سوق المربد يسمع منهم الأبيات، بل القصائد ليستدل بها في استنباط قواعد اللغة العربية أو ترسيخ أصل أصولها"،[3] وأما أنه رحل إلى البوادي وجاب الجزيرة بين قبائلها فسمع من فصحائها وشافههم في ديارهم ومنتجعاتهم فهو الأمر الذي لم ينص عليه مترجموه ولكن قال به بعض الدارسين استنتاجا على ما يبدو.

قال الدكتور شوقي ضيف: "ولم يتذكر كتب التراجم أنه رحل إلى البادية في طلب اللغة والسماع عن العرب ومشافهتهم، غير أن ما يتردد في كتابه من مثل قوله: "سمعنا من بعض العرب يقول و سمعنا العرب تنشد هذا الشعر و "سمعنا من العرب"... يدل –في رأينا– على أنه رحل إلى البوادي نجد والحجاز مثل أستاذه الخليل والكتاب يفيض بسيول من أقوال العرب وأشعارهم، لا يرويها عن شيوخه وهي بدورها تؤكد بل تحتم أنه رحل إلى ينابيع اللغة والنحو يستمد منها مادة وعتاداً فصيحا صحيحا بشاراته في النطق وهيئاته".[4]

---

[1] السيبويه أبي بشير عمرو بن عثمان بن قمبر، **الكتاب**، (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون)، ج4، ص 211.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، **السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة** ، ص 321.

[3] أمان الدين حتحات، **الاستدلال النحوي في كتاب سيبويه وأثره في تاريخ النحو**، دار القلم العربي، ط1، 2006، ص 192.

[4] شوقي الضيف، **المدارس النحوية**، دار المعارف، ط1، سنة 2019 ، ص 58.

وفي معنى كلام الدكتور شوقي ضيف ولكن بتوسع أكبر وبحجج أظهر قال " **الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح**" بعدما ذكر المتحرين الأوائل ك"**أبي عمرو بن العلاء والخليل**" وأضرابهما: "ولا شك أن سيبويه وهو تلميذ هؤلاء الذين نزلوا الميدان بدون استثناء قد فعل مثلهم وأكثر التجوال، إذ لا يعقل أن يأخذ ما سمعه من شيوخه وتعلم منهم طريقة السماع العلمي ولا ينزل مثلهم الميدان، مع ذكره العدد الكبير جداً من (النحو) أي الضروب المتنوعة من الكلام.

وقد جاءت كلمة (العرب) في كتابه أكثر من خمسمائة وثمانين مرة! في عبارة: "قول العرب" وغيرها، ويستحيل أن يكون سمع كل هذا ذكره من العرب القاطنين في البصرة أو من المربد، مع كثرة ما جاء في كتابه من التأكيد الصارم أن بعض ما سمعه: "تتكلم به العامة من العرب (312/1) أو "فينصبها عامة بني تميم" (166/1) أو "على ذا تتكلم به عامة العرب" (477/2) "وليست...أكثر في كلامها جميعاً، وإنما يتكلم بها بعضهم" (24/1، 27)" وليس في الدنيا عربي يجعلها هنا صفة... لا يتكلم به العرب" (395، 402) "وهذا لا يرفعه أحد" (165/2) أو "ولم نسمعهم قالوا..." (221/2) او "غيرهم من العرب وهم كثيرا لا يلحقون الهاء في الوقف" (279/2)، "وسمعنا ذلك من تميم وأسد...أما ناس من بني تميم فيقولون... "(285/2) و "وسمعنا بعض تميم من بني عدي يقولون"... "(288/2) وغير ذلك.[1]

ويقول من جهة أخرى: "وسمعنا رجلاً من أهل البادية قيل له: أتخرج إن أخصبت البادية؟ فقال: أنا إنيه؟ منكراً لرأيه" (406/1) و "سمعت من العرب من يقول: ألا تا بلى فا" فإنما أرادوا: ألا تفعل وبلى فافعل" (62/2) فمثل هذين الحادثين لا يشاهدهما إلا من كان في البادية. ثم كيف يجوز لباحث نزيه موثوق بعلمه مثل سيبويه كما شهد على ذلك جميع العلماء أن يدعي أن هذا "عربي جيد كثيراً" (15/1-17) و الوجه الأكثر الأعرف" (46) و "الأول أعرف واكثر" (78) و"أعربه وأكثر" (79) و "أكثرهم يقول..." (121) و"الرفع في جميع هذا كثير في جميع لغات

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، **السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة** ، ص 348.

العرب"(110) "وهو كلام أكثر العرب" (117) "من يحصى من العرب" (293) وغير ذلك دون أن يكون عاين ذلك في أكثر من مكان".[1]

المطلب الثاني: شبهات بعض المنكرين لسماع سيبويه.

ومع كل هذه الأدلة التي تثبت سماع سيبويه المباشر من العرب السليقيين سواء رحل إلى البوادي كشيوخه أو لم يرحلوا اكتفى بعرب البصرة ورواد سوقها المربد فقد وجد في الباحثين المعاصرين من كذب كل هذه الأدلة وطعن في سماع سيبويه ومشافهته العرب أو الاعراب وادعى أن كل ذلك هو مما سمعه من شيوخه، لأنه لم يكن في كتابه إلا ناقلاً لعلم شيوخه وأنّ ما فيه تصريح بسماع مباشر هو مما سمعه من شيوخه وتساهل فأوهم أنه سمعه كفاحا ومشافهة.[2]

والعجيب في امر هذا الباحث أنه راح يقيم الأدلة على مدعاه بحجج واهية، هي على الشبه أقرب منها إلى الأدلة، ولكن مع ذلك فقد يجب أن نعرض لها بالبحث والاستقصاء حتى لا يبقى شك في سماع سيبويه، وهو الذي لم يشك في عدالته عالم ولا طعن في تحريه باحث قبل هذا الباحث.

أولاً: السماع: ودليل هذا الباحث على أن سيبويه: "لم يكن له باللغات العربية علم سماع مباشر يعتمد على المعايشة والمشافهة".[3] هو أنه كما قال: "لو عرف ذلك معرفة ميدانية بيئية وأقصد بذلك معرفة رحلة واختلاط ما وقع في أغلاط كان رأيه فيها مخالفا للغات العرب وما هي عليه من شيوع وانتشار في مجالاتها اللغوية العامة أو مجالها الخاص بها".[4] قال: ومن ذلك:

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، **السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة** ، ص 349.

[2] فوزي مسعود، **سيبويه جامع النحو العربي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د/ط)، مصر، 1986، ص 34-35.

[3] المرجع نفسه،ص 36.

[4] المرجع نفسه، ص 36.

1. المسألة الزنبورية، وخلاصة كلامه فيها أن سيبويه ما عرف فيها إلا ما تعلمه من شيوخه وهو الرفع، ولو شافه العرب لعرف كما عرف الكسائي أن فيها الرفع والنصب. قال: "ولو شافه العرب ما كان خلافه مع الكسائي".[1]
2. إن سيبويه قال: "وقالوا: جنح يجنح" بضم عين المضارع، "والصحيح أن في مضارعه ثلاث لغات"[2] بفتح عين المضارع وكسرها، "ولو شافه العرب ورحل إليهم ما كانت غفلته من اللغتين عن اللغتين الأخريين للفعل (جنح يجنح).[3]
3. أن سيبويه قال: "ومن العرب من يقول في (ناب) (نويب) فيجيء بالواو لأن هذه الألف مبدلة من الواو أكثر، وهو غلط منهم، وبعدما رجح الباحث مذهب الكوفيين على مذهب البصريين في رد الالف ثانية من كل اسم ثلاثي إلى الياء لا إلى أصلها في التصغير وأنه الذي جرت به عاميات المشرق قال: "وفي ذلك دليل على عدم معرفة سيبويه بلغات العرب لأنه لم يسمع منهم وإنما سمع عن شيوخه..".[4]
4. أن سيبويه قال: "وقد بلغنا أن قوما من اهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبء وبريئة وذلك قليل رديء".[5] وبعدما خطأ الباحث سيبويه بين أنهما وردتا في آيتين وأن نافعا قرأهما بتحقيق الهمزة قال: "والسبب في هذا الخطأ أنه كان صاحب منهج نقلي يعتمد على جمع أقوال السابقين دون مشافهة للعرب لمعرفة لغاتهم..."[6] ثم أشار الباحث إلى أن سيبويه مع ذلك اعترف بالتحقيق فتناقض.
5. أن السيبويه قال: "ولا يقولون (ودع) استغنوا عنه ب (ترك)، وأشياء ذك كثيرة. وقال: "كما ان (يدع) و (يذر) على (ودعت) و (ذرت) وإن لم يستعمل". قال الباحث: "وهذا قول

[1] فوزي مسعود، **سيبويه جامع النحو العربي**، ص 38.
[2] المرجع نفسه، ص 38.
[3] المرجع نفسه،ص40.
[4] المرجع نفسه،ص 42.
[5] المرجع نفسه، ص 44-45.
[6] المرجع نفسه، ص 47.

يؤكد لنا غفلة سيبويه عن بعض لغات العرب أو عدم إحاطته بما تكلمت به العرب، والأكبر من ذلك أن قول يؤكد لنا غفلة سيبويه عن بعض لغات العرب أو عدم إحاطته بما تكلمت به العرب، والأكبر من ذلك أن أقول سيبويه لم يسمع من العرب بل سمع عن شيوخه وسابقيه، وكان لجمهرة كتابه من الجامعيين الناقلين، والدليل على ذلك أن ما أنكره سيبويه ورد كثيراً في اللغة.[1] ثم راح يذكر شواهد ذلك.

6. قال سيبويه: "(أكلت شاة كل شاة) حسنٌ، و(أكلت كل شاة) ضعيف، لأنهم لا يعمون هكذا فيما زعم الخليل..." قال الباحث: "والصحيح أن ما قاله سيبويه ضعيف لان القرآن الكريم تضمن شيئا من ذلك، قال تعالى (وه ربي كل شيء علماً) (وخلق كل شيء)... وهذا دليل على أن سيبويه كان جامعاً للنحو العرب، ولم يكن سامعاً للعرب أو راحلاً إليهم فيسمعهم".[2]

المطلب الثالث: الرد على الشبهات.

على الرغم من تعرض السيبويه في سماعه لكثير من النقد باختلاف المسائل التي تم التطرق إليها، إلى أننا سنحاول من خلال هذا المطلب أن نأتي بالرد التفصيلي حتى يخلص لنا أمر سماع سيبويه الذي اجمع عليه الدارسون قديماً وحديثا فنقول:

1) **المسألة الزنبورية:** أما المسألة الزنبورية التي ادعى أن سيبويه ما عرف فيها إلا الرفع، ولو شافه العرب لعرف فيها النصب أيضاً، كما عرفه الكسائي، فقد كفانا مؤونة الرد فيها عليه د، إدريس مقبول، فإنه قال: "وصاحب هذا الرأي وأهم في خمسة مواضع،[3] فذكرها، وأحب أن أعرضها بأسلوبي الخاص، مع إضافات.

---

[1] إدريس مقبول، **منهج سيبويه في الاحتجاج بالقراءات ولها**، عالم الكتاب الحديث، ط1، أربد/الأردن، 2010، ص 9.

[2] ابن هشام الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، (تحقيق: مازن المبارك و محمد علي حمد الله)، دار الفكر، ط5، بيروت، 1979، ص 125.

[3] الإمام الشافعي، **رسالة**، (تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر)، دار التراث، ط2، القاهرة، 1979، ص 42.

ـ **أولا**: إن القصة غير مقطوع بثبوتها، لأنها خبر آحاد، فيحتمل أن تكون وقعت حقاً ويحتمل أن تكون مخترعة، وما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال.

ـ **ثانياً**: على فرض وقوعها، فإن سيبويه أخذ فيها بوجه في اللغة، ولا يصح تخطئته بذلك، كيف وهو المذهب الحق، وقد قال ابن هشام في المغنى: "وأما سؤال الكسائي فجوابه ما قاله سيبويه وهو (فإذا هو هي) هذا بوجه الكلام، مثل (فإدا هي بيضاء) (فإذا هي حيةٌ)، وأما (فإذا هي إياها) إن ثبت فخارج عن القياس، واستعمال الفصحاء، كالجزم ب (لنْ) والنصب ب (لمْ)، والجر ب (لعل) وسيبويه وأصحابه لا يلتفتون لمثل ذلك، وإن تكلم العرب به.[1]

ـ **ثالثاً**: وإن كانت المسالة جرت في كلام العرب بوجهيين، علم سيبويه أحدهما وخفي عليه الآخر، فمن أين يلزم عدم سماع سيبويه، إذا كثيراً ما يسمع أحد العلماء من العرب ما لم يسمعه غيره، فلا يدل على أنه لم يسمع منهم ولم يشافههم، مع العلم أن: "لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي".[2]

ـ **رابعاً**: استنتاج عدم سماع سيبويه من جوابه في هذه المسألة غير منطقي، لخلوه من اللزوم الذي هو وجه الدليل، بينما استنتاج أنه اختار فيها مذهباً رآه الصواب دون غيره منطقي جداً، وهو الظاهر، كما سبق في كلام ابن هشام.

ـ **خامساً**: مال ذهب إليه صاحب هذا الرأي ليس إلا مجرد افتراض لم يم عليه دليل وهو إن دل على شيء فإنما يدل على: "شك صاحبه وتردده في الأخذ بأحد أطراف القضية حتى تنسجم".[3]

2) **جنح= يجنح، ويجنُح، ويجنح**: وأما (يجنح) الذي قاله سيبويه بضم المضارعة وما تعقبه به من وجود (يجنح) و (يجنح) وأنه دليل على غفلته، فلو كان هذا التعقب حقاً لقلنا إن سيبويه خفي عليه شيء من اللغة ولم يشترط أحداً في أي عالم ألا يخفي عليه شيء من اللغة، وقد قال ابن

---

[1] إدريس مقبول، **منهج سيبويه في الاحتجاج بالقراءات ولها** ، ص 11.

[2] أحمد بن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، (تحقيق وتقديم: مصطفى الشومي)، مؤسسة أ/ بدران، (د/ط)، بيروت/لبنان، 1964، ص 47.

[3] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (تحقيق ومراجعة: نواف جراح وسمير شمس)، دار الأبحاث، ط1، (د/م/ن)، 2011، ص493.

فارس: "ما بلغنا أن أحد ممن مضى ادعى حفظ اللغة كلها".[1] ثم إن سيبويه ذكر هذا في (هذا الباب ما يكون يفعل من فعل فيه مفتوحا) فبين أن الأصل في مضارع (فعل) أن يكون (يفعل) أو (يفعل)، بضم العين، وبعدما علل سيبويه ذلك قال: "وقد جاءوا بأشياء من هذا الباب على الأصل" فذكر منها: جنح يُجنِحُ). ومن هذا نفهم أن القياس في مضارع (جنح) هو (يجنح) بفتح عينه، لأن لامه حرف حلقي، وهو القياس فيما كانت عينيه أو لامه حرف حلق، وأنه مع ذلك جاء على (يجنح) بضم العين على الأصل. والدليل على ذلك قول الزبيدي: "جنح (يجنح) إليه، (يجنح)، كيمنع، على القياس، لغة تميم، وهي الفصيحة (ويجنح)، بالضم لُغة قيس، (ويجنح) بالكسر، وقد قُرئ بهما شاذاً، كما في المحتسب وغيره".[2] فسيبويه إذن ذكر الاصل في مضارع (جنح) وهو (يجنح)، وذكر القياس فيه وهو (يجنح) وهو لغة تميم، وهي فصيحة كما قال الزبيدي، وسكت عن (يجنح وهو لغة تميم، وهي فصيحة كما قال الزبيدي، وسكت عن (يجنح)) لأنها شاذة، والأمر كما قال ابن هشام: "وسيبويه وأصحابه لا يلتفتون لمثل ذلك، وإن تكلم العرب به).

3) **ناب= نويب أو نبيب:** وأما قول سيبويه: "ومن العرب من يقول في ناب نويب فيجيئ بالواو، لأن هذه الألف مبدلة من الواو أكثر، وهو غلط منهم، فلم أفهم وجه تخطئة سيبويه كشيوخه يحكم العرب في كلامهم، فما كان مطرداً في كلامهم أو أكثر، فما كان مطرداً في كلامهم أو أكثر، وكان في نفس الوقت موافقاً للقياس، هو الذي يأخذ به ويجعله قاعدة ضابطة لكلامهم، وأما الشاذ في الاستعمال المخالف للقياس، فلا يعبأ به، لأنه لا يمثل كلام العرب الشائع الذائع. ولذلك قال الشاطبي بعدما ذكر أن مذهب البصريين هو الصحيح: "خلافاً للكوفيين من تجويزهم أن تقلب الياء واواً للضمة، فيقولون في (بيت) بُويِت، وفي (شيخ) شُويخ، وفي (عين) عُوين، وفي

[1] الشاطبي، **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية**، (تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان)، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط1، مكة المكرمة، 2007، ص 355.

[2] سليمان يوسف خاطر، **منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتوجيه قراءاته ومآخذ بعض المحدثين عليه**، مكتبة الرشد، ط1، الرياض/ المملكة العربية السعودية، 2008، ص 519.

(سير) سُوير، ونحو ذلك لأنهم سمعوا في (ناب) وأصله الياء: نُويب، قال: "وهي عند البصريين ألفاظ شاذة وعلى غير القياس".[1]

4) **مصيبة= مصائب أو مصايب**: وأما قول سيبويه: "وأما قولهم مصائب فإنه غلط منهم، وذلك أنهم توهموا أن مصيبة فعلية، وإنما هي مفعلة"، ثم قال: "وقالوا مصيبة ومصائب، فهزموها وشبهوها حيث سكنت بصحيفة وصحائف". فدل ذلك على تردده بين الصواب والخطأ، وأهم لم يسمع من العرب أنفسهم، فهو فهم يغبط عليه هذا الباحث. لم يتردد سيبوبيه في توهيم من جمع مصيبة على مصائب، لأنه قال عقب ذلك مباشرة: "وقد قالوا مصاوب"، أي: على الصواب، قال السيرافي: "كان الأصل في (مصيبة) (مصوبة) فألقيت كشرة الواو على الصاد، وقلبت الواو ياء فإذا جمعناها فالوجه أن يقال (مصاوِب) كما قلنا في (مقام) (مقاوم)"،[2] أي: بأن يرد حرف المد في المفرد إلى أصله في الجمع، ولكن سيبويه كعادته يعلل ما خرج عن قياس نظائره، ولذلك قال في تعليل (مصائب)" فهمزوها، وشبهوها حيث سكنت بصحيفة وصحائف"، لأن الياء في مصيبة منقلبة عن واو وهي اصلية، بينما الياء في صحيفة زائدة، والقاعدة أن الياء أو الواو وكذلك الالف إذا كانت ثالثة في المفرد فجمعت على وزن مفاعيل أو شبهه ك (فعايل) كما هو هنا تقلب همزة، فتعليل سيبويه لجمع مصيبة على مصائب لا يعني أبداً أنه تردد في معرفة أن الصواب هو مصايب، لأن أصله مصاوب، فكيف يسوغ بعد هذا البيان أن يقول الباحث: "وفي ذلك دليل على عدم معرفة سيبويه بلغات العرب لأنه لم يسمع منهم وإنما سمع عن شيوخه".

5) **نبي ونبيء، بريئة وبرية**: وأما حكم سيبويه على تحقيق (نبيء) و (بريئة) بانه قليل رديء، ودعوى الباحث أنهما مما قرأ به نافع، وانّ سيبويه اعترف بعد ذلك بهذا التحقيق فتناقض، فدل هذا عنده على أنه جمع أقوال الناس ولم يشافه العرب فهو أيضاً من توهمه وافتئاته. وهذه المسألة حتى تكون في إطارها الصحيح لا بد أن نقول: إن سيبويه هنا لا يتحدث بتاتاً عن قراءة، وإنما يتحدث

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، ط1، بيروت، 1414هـ، ص 162.

[2] ابن الأثير، **غريب الحديث**، (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي)، المكتبة العلمية، بيروت/لبنان، (د/ط)،1979 ، ص 5-8.

عن ظاهرة لهجية وهي: أن قريشاً كانوا يخففون الهمزة، بينما جمهور العرب يحققونها، ومع ذلك فإن كثيراً من هؤلاء يخففون (نبيء) و (بريئة) ولكن قوماً منهم يحققون، فلذلك قال سيبويه: "(وذلك قليل رديء)، أي: رديء عند أهل التحقيق الذين أبدلوا هاتين الكلمتين فهو بذلك يصف السماع من أهل تحقيق الهمزة في هاتين الكلمتين، ولا يصف السماع عن كل العرب، فقد ورد ان قريشاً لا تهمز"،[1] والدليل على أن سيبويه تحدث عن السماع في هاتين الكلمتين من حيث القلة والكثيرة قوله في موضع آخر: "وكذلك (البرية) تهزمها، فأما النبي لإن العرب قد اختلفت فيه. فمن قال (النباء) قال (كان مسيلمة نُبيء سوء)، وتقديرها (نُبيع) وقال العباس ابن مرداس:

يا خاتم النُباء لإنك مُرسل بالحق كل هُدى السبيل هذا كذا القياس، لأنه مما لا يلزم، ومن قال (أنبياء) قال (نُبي سوءٍ)".[2] وقوله أيضاً: "وأعلم أن (الهمزة) التي يحقق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز وتجعل في لغة أهل التخفيف بين بين، تبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحاً والياء لإذا كان ما قبلها مكسوراً والواو إذا كان ما قبلها مضموناً وليس ذا بقياس متلئب، نحو ما ذكرنا، وإنما يحفظ عن العرب".[3]

والخلاصة أن سيبويه ذكر في هذه المسألة أن من العرب من يحقق الهمزة ومنهم من يخفف، وأن جمهور المحققين بله المخففين يخففون الهمزة من (نبـء) و(بريئة)، وبعض أهل التحقيق يحققونها فخالفوا بذلك الجمهور، لأنهم أقليةهو الذي جرى به الاستعمال أكثر، وإلا فالتخفيف والتحقيق في هاتين الحالتين كلاهما ثابت. هذا من جهة ومن جهة ثانية فغن سيبويه لم يعرض لقراءة نافع لا من قريب ولا من بعيد، كيف وهو يعرف أن الهمزة أصل في النبي لأنه من النبأ، وأصل في البريئة لأنها من براً وق قال في الكتاب: "إن القراءة لا تخالف، لأن القراءة السنة"، ولسنا على يقين أنه كان على علم بقراءة نافع، وإن كان عالماً بها فالقراءات في عهده لم تسبع بع. قال ابن منظور: "السيبويه (والهمز في

[1] الشاطبي، **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية** ،ص 493.

[2] محمد عبد الخالق عظيمة، **فهارس كتاب سيبويه** ،ص 286.

[3] محمد عبد الخالق عظيمة، **فهارس كتاب سيبويه** ،ص 286.

النبي لغة رديئة)، يعني: لقلة استعمالها، لا لأن القياس يمنعها".[1]، وقال ابن الأثير في النهاية عن (النبي): "ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه، ويقال: نبأ ونبأ وأنبأ، قال سيبويه: ليس أحد من العرب إلا ويقول: تنبأ مُسيلِمة، بالهمز، غير أنهم تركوا الهمز في النبيء كما تركوه في الذُرية والبرية والخابية، إلا أهل مكة، فإنهم يهمزون هذه الأحرف الثلاثة ولا يهمزون غيرها، ويُخالفون العرب في ذلك".[2]

6) **ودع، وذَرَ**: وأما استدلال الباحث على عدم إحاطة سيبويه باللغة، لأنه قال بأن العرب لم تستعمل: ودع، ووذر، فقد أبعد فيه النجعة، لأنه لا أحد كما قلنا أحاط باللغة، ولكن الذي نجزم به هو أن سيبويه كشيوخه المتحرين بذل مجهوداً كبيراً في تتبع كلام العرب وجمعه من أفواه أصحابه، فلم يكن ليقول بإثبات شيء أو نفيه إلا عن استقراء تام. فالذي وصل إليه سيبويه بعد التتبع والاسقصاء وتبعه عليه أكثر إن لم نقل كل العلماء أن العرب أماتت ماضي الفعلين: يدع ويذر، فلم يقولوا: ودع ولا وذَر، وقد حاول بعض المعاصرين كسعيد الأفغاني أن يستدركوا عليه فذكروا شواهد كثيرة لورود (ودع).[3]

[1] المرجع نفسه، ص 20.

[2] ابن هشام، **مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب**، (تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله)، دار الفكر، ط5، دمشق/بيروت، 1979، ص 255.

[3] أبو نصر هارون بن موسى القرطبي، **شرح عيون كتاب سيبويه**، (تحقيق: عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه)، ط1، (د/م/ن)، 1984، ص 14.

الفصل الثاني: التقعيد النحوي عند سيبويه.

المبحث الأول: مفهوم التقعيد والنحو والقاعدة النحوية.

المطلب الأول: مفهوم التقعيد.

المطلب الثاني: مفهوم النحو لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: مفهوم القاعدة النحوية لغة اصطلاحاً.

المطلب الرابع: شرح القاعدة النحوية.

المبحث الثاني: مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والاستدلال

المطلب الأول: الاستدلال بالقرآن الكريم.

المطلب الثاني: الاستدلال بالحديث الشريف.

المطلب الثالث: الاستدلال بالشعر العربي الفصيح.

المطلب الرابع: الاستدلال بالكلام العرب المنثور.

المبحث الأول: مفهوم التقعيد والنحو والقاعدة النحوية.

إن التقارب في مفهوم كل من التقعيد النحو والقاعدة النحوية، يحثنا إلى إعطاء تعريفات جامعة مانعة لكل مفهوم على حدة لأنه برغم التقارب إلى أنه يوجد الخيط الفاصل بينهما، على اعتبار التقعيد هو عملية وضع القواعد، في حين النحو هو تتبع الكلام والعلم بقواعده أما القاعدة النحوية هي تفصيل في علم النحو من كلام وأصوات وأفعال. لهذا سنعرض من خلال هذا المبحث إلى مفهوم التقعيد في المطلب الأول، ومفهوم النحو في المطلب الثاني، أما الثالث فخصص لمفهوم القاعدة النحوية. وفي الأخير سنتعرض في المطلب الرابع لشرح القاعدة النحوية

المطلب الأول: مفهوم التقعيد.

يعتبر التقعيد عملية إجرائية ذهنية من عمل الباحث. أساسُها وصفُ العلامات المتشابهة في قانون هو المقصد الذي ينتهي إليه التقعيد وغايته و هي القاعدة. ويكون بضم شعث المسائل تحت قواعد جامعة: تبنى: على ما قام به النحاة من وصف العلاقات المتشابهة بين المفردات اللغوية أو الجمل ووضع المطرد منها في صورة قانون. أو ما يعبر عنه بالقاعدة النحوية.[1]

ويعرفه عبد القادر المهيري بأنه: "جملة الضوابط التي يستنطبها النحوي من استعمالات الناس للغتهم، بحصر الثوابت فيها غض الطرف عما هو عرضي ظرفي ليس ضامنا للتبليغ في كل الحالات. ومن هنا كان التقعيد رهين الاستعمال صادراً عنه موفراً لأسباب الكلام ومقاييسه، ممكنا المتكلم من دليل يقتدي به ومرجع متكلم إليه ونموذج منظر يقيس عليه عن وعي أو عن غير وعي".[2]

إن التقعيد عملية وضع القواعد، أي باستخراجهما واستخلاصهما عن الظواهر اللغوية، وجعلها أحكاما كلية تنطبق على أفراد مجموعة الظواهر المتحدة أو المتماثلة.[3]

---

[1] محمد أحمد العمروسي، **دور الحديث النبوي الشريف في التقعيد النحوي**، رسالة دكتوراه، قسم النحو والصرف والعروض، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، (د/ت)، ص 300.

[2] عبد القادر المهيري، **نظرات في التراث اللغوي العربي**، دار الغربي الإسلامي، ط1، بيروت، 1993، ص 131.

[3] كمال بشر، **اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د/ط)، القاهرة، 1999، ص 155.

المطلب الثاني: مفهوم النحو لغة واصطلاحاً.

أ. النحو لغة:

النحو جذره اللغوي "نَحَا" ونجد لهذا الجذر معان متعددة في معجم لسان العرب، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

النحو: القصد والطريق، يكون طرفاً ويكون اسماً نَحْاُن ينحوهُ وينْحَاهُ، نحوا، وانتحاهُ ونحو العربية منه، وهي في الأصل مصدر شائع، نحوْتُ أي قصدت قصداً نحاهُ نحوا إذا قصدهُ، ونحا الشيء، يَنحاهُ، وينحوه إذا حرفه ومنه سُمي النحو لأنه يُحرف الكلام إلى وجوه الإعراب، النحو القصد نحو الشيء...[1].

وجاء تعريف النحو في معجم الصحاح على منوال الآتي: "النحو: القصد والطريق، يقال: نحوت نحوك: أي قصدتُ قصدك، ونحوت بصري إليه، اي صرفته، وأنحَيْتُ عنه بصري أي: عدلته، وأنحى في سيره، أي: اعتمد على الجانب الأيسر، والانتحاء مثله هذا الاصل، ثم صار الانتحاء الاعتماد والميل في كل وجه، وانتحَيت لفلان، أي: عرضت له وانحنيت على حلقة السكين اي: عرضت، ونحيته من موقعه تنحية فتنحى، والناحية واحدة النواحي".[2]

ب. النحو اصطلاحاً:

لم يتم ورود مصطلح النحو عند اوائل النحاة وخاصة فيما يتعلق بالفترة التي عاش فيها، أبو الاسود الدولي لذلك لم نجد له تعريفا عندهم.

والكفة ترجح إلى اشهر تعريف يؤخذ به هو تعريف ابن جني (ت 392هـ)، إذ يقول: "النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتشبيه والجمع والتحفيز والتكسير،

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نحا)، 1414هـ، ص 155.

[2] الجوهري، **الصحاح**، (تحقيق: عبد الغفور عطار)، مادة (نحا)، ج 06، دار العلم للملايين، ط3، لبنان، 1983، ص 25.

والإضافة والنسب، والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس أهل اللغة العربية أهلها الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وان شبه بعضهم عنها رد به إليها وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوأ لقولك قصد تقصداً ثم خص به انتحاء هذا القبيل من هذا العلم".[1]

إذن فإبن جني في هذا التعريف يعتبر النحو هو تتبع كلام أهل اللغة العربية والسير على وتيرتهم في النحو والذي قد مثل له بالإعراب والتركيب والصرف، الذي اقتصره على التشبيه والجمع والتحفيز والتكسير والإضافة والنسب وهو بهذا جمع بين علمي النحو والصرف ولم يعمد على التفريق بينهما بل مزجهما وهذا ما يصطلح عليه في الدراسة النحوية الحديثة –بعلم النحو– وأما فيما يتعلق بتعريف النحو عند العلماء المتأخرين نجد على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره "الشريف الجرجاني (816هـ) في كتاب (التعريفات)، إذا قال النحو: "يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال وقيل علم يعرف به صحة الكلام وفساده".[2]

فربما هذا التعريف يكون الجرجاني قد حول مفهوم النحو من تتبع كلام العرب إلى العلم بقوانين هذا الكلام فمن المنطقي أن الإنسان يتبع كلاماً ثم إذا عرفه تمكن منه.

وفيما تعلق بالمحدثين فلقد قدموا زخما من التعريفات نذكر منها تعريف "إبراهيم مصطفى": "النحو هو قانون تأليف الكلام وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في جملة والجملة مع الجمل حتى ننسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها، وذلك أن لكل كلمة منفردة معنا خاصاً تتكفل اللغة ببيانه، وللكلمات مركبة معنى وهو صورة لما في أنفسنا ولما نقصد أن نعبر عنه ونؤديه إلى الناس. وتأليف الكلمات في كل لغة يجري على نظام خاص بها ولا تكون العبارات ولا مصورة ولما يراد حتى يجري عليه ولا يزيغ عنه".[3]

وهو بهذا التعريف يعارض النحاة الأوائل الذين ضيقوا وحصروا مفهوم النحو في حدوده الواسعة من خلال اقتصاره على أواخر الكلمات.

---

[1] إبن جني، **الخصائص** ، ص 34.

[2] علي محمد السيد الشريف الجرجاني، **التعريفات**، (تحقيق: محمد الصديق المنشاوي)، دار الفضيلة، (د/ط)، القاهرة/مصر، (د/ت)، ص 202.

[3] إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، دار التأليف والترجمة للنشر، ط2، (د/م/ن)، 1992، ص 32.

المطلب الثالث: مفهوم القاعدة النحوية لغة واصطلاحا.

تتبوأ القاعدة النحوية مكانة رفيعة عند علماء العربية من حيث إنها ترسم معلما ينير سبل الخطباء والكتاب في طريقتهم نحو الفصاحة والبيان. لذا سعى النحاة منذ القديم للعمل على دقتها وضبطها، حتى يسهل تعاطيها والعمل بها، ويؤمن اللبس من جانبها.

أ. **القاعدة النحوية لغة:**

ورد في لسان العرب القواعد هي من مادة قعد "القاعدة هي الأصل الأسس".

والقواعد: الأساس، وقواعد البيت أساسه... قال الزّجاج: "القواعد أساس البناء التي تعتمده وقواعد الهودج خشبات أربع معترضة في أسفله تُركب عيدان الهودج فيها، قال أبو عبيد: قواعد السحاب أصولها المتعرضة في أفق السماء شبهت بقواعد البناء".[1]

ب. **القاعدة النحوية إصطلاحاً:**

من بين الذين أشار إلى ماهية القواعد لدينا طه حسين الدليمي وسعاد عبد الكريم الوائلي "إنّ قواعد اللغة العربية تعد العمود الفقري لهذه المادة فالإنشاء والمطالعة والأدب والبلاغة، والنقد، تظل عاجزة عن أداء الرسالة، ما لم تقرأ أو تكتب بلغة سليمة خالية من الأخطاء النحوية"،[2].

ويعرفها محمد إسماعيل ظافر بأنها: "فن تصحيح كلام العرب كتابة وقراءة وهي تُعنى بالإعراب وقواعد تركيب الجملة الإسمية أم فعلية".[3]

تتجاذب القاعدة النحوية في تعريفها الاصطلاحي ثلاثة مصطلحات رئيسية كثيراً ما تتكرر على ألسنة أهل الاختصاص عند معالجتها، وهي: القضية والحكم والأمر.[4]

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، ط3، م3، مادة (قعد)، ص 361.

[2] طه حسين الدليمي، **تدريس اللغة العربية بين الطوائف التقليدية والاستيراتيجيات التجديد**، علم الكتاب الحديث، ط1، (د/م)، (د/ ت)، ص**73**.

[3] محمد إسماعيل ظافر وآخرون، **التدريس في اللغة العربية**، دار المريخ للنشر والتوزيع، (د،ط)، الرياض ، 1994، ص 181.

[4] عبد الهادي جمال الدين، خلف الله بن علي، **المفارقة النحوية في مدونة النحو التقليدي (بين التقعيد والقاعدة)**، مجلة دراسات وأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 11، العدد 1، تيسمسيلت، 2019، ص 352- 353.

- فاعتبارها **قضية** قد ورد في عدة تعريفا، منها تعريف الشريف الجرجاني (ت816هـ): حين قال: "القاعدة هي قضية كلية منطبقة على جمع جزئياتها". و "قضية كلية يتعف منها أحكام جزئياتها".

ويوجد في التعريفات الحديثة من يرى القاعدة: "قضية كلية تدخل تحتها جزئياتها كثيرة وتحيط بالفروع إما أن تنطبق على جميع الفروع التي تدخل تحتها...وإما أن تشمل غالبا الجزئيات أو أكثرها".

- أما أمراً أتى ذكره في تعريفات شتى، منها ما ذكره الفيومي (ت 770هـ) في معجمه بأنها": "الأمر الكلي المنطبق على جزئيات".

ونقل ابن النجار (ت 972هـ) عن السبكي (ت 756هـ) قوله: "أمر كلي ينطبق على جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منها".

- وأما حكماً، فقد ورد في قولهم: "حكم أكثري ينطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه"، أو هي "حكم كلي منطبق على جميع جزئياته لتتعرف أحكامها منه".

وبمعناها الواسع هي: "جملة من المقولات النظرية التي تمثل الثوابت في نظام اللغة التركيبي: وتعد قانوناً أو معياراً ينبغي القياس عليه وتوليد الكلام في ضوئه، ويمكن متعلم اللغة من غايته".[1]

[1] عبد الهادي جمال الدين، خلف الله بن علي، **المفارقة النحوية في مدونة النحو التقليدي (بين التقعيد والقاعدة)** ، ص.353

المطلب الرابع: شرح القاعدة النحوية.

إنّ المقصود بالقاعدة النحوية فيما نبحث فيه هي القاعدة التي تشمل التركيب والصرف والأصوات. ومما لا يخفى أن هذه المجالات أو المستويات المختلفة المشار إليها قائمة على قواعد نحوية، مما يجعل هذه القواعد نسقا أو أنساقا هي التي يُبنى عليها النحو. والقاعدة النحوية عبارة عن قوانين أو ضوابط أو أحكام تتحكم في هذه الظاهرة أو تلك. والقاعدة النحويّة في عمومها مبنيّة على الاستقراء، وذلك انطلاقا من ملاحظة اللغة في حدّ ذاتها، أو الظواهر اللغويّة المختلفة التي يقرها الاستعمال الشائع في لسان ما.

والملاحظة في مجال العلم ضروريّة، لأنّ من شأنها أن تساعدنا على وصف الظاهرة، وضبط خصائصها المشتركة، وما ينطوي تحتها وما لا ينطوي، ومن شأنها أيضا أن توقفنا على ما هو مطرد أو غير مطرد. وبالاعتماد على أطراد الظاهرة وإيضاح المفهوم المتعلق بها، ومحاولة إيجاد ما يناسبها من تعريف أو تعريفات، تصاغ القاعدة بناء على جملة الامثلة الجزئية، في محاولة لتطبيقها أو اختبارها على أمثلة كثيرة لإثبات مدى سلامتها أو صحتها.

وتصاغ القاعدة على ما هو شائع صياغة أدبية، على النحو الذي عهدناه في إثار النحاة، فتجيئ في عبارة موجزة دقيقة كي يسهل حفظها واستيعاب دلالاتها، والتثبت من مدى فاعليتها وشموليتها بتطبيقها على الأمثلة التي نعرف أو لا نعرف.

ومن باب التمثيل، ولتوضيح ما نروم توضيحه، نسوق القواعد التالية، وهي تتعلق بمجال الصرف، أو بالتغيرات الطارئة على الكلمات:[1]

- **تقول القاعدة الأولى**: "حرف العلّة إذا جاء متحركا وما قبله مفتوح قلب ألفا".
- **وتقول القاعدة الثانية**: "إذا جاءت الواو ساكنة، وكان ما قبلها كسرة أبدلت ياء".

[1] عبد الحميد نوري عبد الواحد، **القاعدة النحوية**، مقال إلكتروني متاح على منصة العربية، عبر الرابط التالي: www.a-a-arabia.com، تم الاطلاع يوم 20222/06/12، على 20:30 سا.

- **تقول الثالثة:** "إذا التقى ساكنان يحذف ما سبق".

هذه القواعد المشار إليها صيغت في كل حالاتها، مثلما هو ملاحظ، صياغة متشابهة. وهذه الصياغة تقضي بوجود معنى الشرط، وحقق هذا الشرط يؤدي إلى التغيير. والشرط من شأنه أن يبين السياق الذي تطبق لا محالة. والسياق يحدد العنصر المتغير، وما يسبقه وما يلحقه. من ذلك أن حرف العلة (أي الواو أو الياء) في القاعدة المشار إليها أعلاه، يقلب ألفا عندما يكون مسبوقا بفتحة ومتبوعا بحركة، أي متبوعا بفتحة أو ضمة أو كسرة، وذلك في أمثلة من نحو "شيح" لأن الياء جاءت ساكنة، ولا تطبق على "عّيَبَة" لأنّ ما قبل الياء جاء مضموما، ولا تطبق على "عِوَضّ" لأنّ ما قبل الواو جاء مكسورا. وتبعا لهذا لا تطبق القاعدة إلا في شروط محددة، موجبة للتغيير.[1]

وأما طبيعة هذه القواعد إذا ما نظرنا إليها من منظور لساني حديث فهي في مجملها قواعد إعادة كتابة، أي أنّ العنصر "أ" مثلا تُعاد كتابته بالعنصر "ب"، عندما يجيء في سياق يُحد يمنة ب "س" ويسرة ب "ع". ومن باب الملاحظة لا يتعلق تطبيق القاعدة بالسياق الموجب للتغيير وحده، وإنّما قد يتعلق ببعض الشروط الأخرى الملازمة لها، وذلك من نحو تحديد مجال تطبيقاتها، أو الصيغ المطبقة عليها، أو تجنب تطبيقها في حالة اللبس الحاصل في الصيغة أو المعنى.

وكثيرا ما ينزع من هذه القاعدة أو تلك القاعدة صفة الكلية، وذلك لعدم تطبيقها على أمثلة قد تكثر أو تقلن نصفها عادة بالشواذ، ولتدارك الأمر تسعى الصناعة النحوية إلى تحسين صياغة القاعدة وتشذيذها لتقلل من عدد الشواذ الملحقة بها، وهذا ما يجعل القاعدة الأساسية قاعدة ملازمة في الكثير من الحالات لقاعدة أو لقواعد فرعية من شأنها أن تحل معضلة الاستثناءات، أو التقليل منها على الأقل.

وإذا ما اعتبرنا أن قاعدة قلب حرف العلّة ألفا هي القاعدة الأم مثلا، فإننا سوف نعتبر أن القاعدة التي تقول: "يقلب حرف العلة ألفا إذا جاء متحركا بالفتحة، وكان ما قبله ساكنا". وذلك

[1] عبد الحميد نوري عبد الواحد، **القاعدة النحوية .**

من نحو ما نجده في أمثلة من قبيل "استقبال" و "استبيان" و "يخاف" و "يكاد"، وهي قاعدة فرعية، تطبق في سياقات غير السياقات التي تطبق فيها القاعدة الأم.

وفي عرف النحاة أو علماء اللغة، يفسر هؤلاء سبب تطبيق القاعدة أو تعليلها، بالرجوع إلى تعليلات تعود إلى الحس في الغالب، ولا سيما بشأن الظواهر الصرفية الصوتية، وذلك من نحو الخفة والثقل أو الالتباس، أو التوافق الصوتي وعدم الانسجام. وللاستدلال على هذا نشير مرة اخرى إلى قاعدة قلب حرف العلة ألفا، إذ يقول النحاة بخصوص هذه القاعدة، إن تطبيقها جاء نتيجة كره اجتماع الأمثال، واجتماع الامثال يتحقق في هذه الحروف المتحركة المتتالية، وبالتالي هذه الحروف عندهم، أو بالأحرى عند المتكلم المستمع ثقيل، وطالما أن هناك حرفا معتلا في الكلمة قابلا للتغيير، فلا مناص من تغييره، أو قلبه إلى ما هو أخف منه أي إلى الألف.[1]

[1] عبد الحميد نوري عبد الواحد، **القاعدة النحوية** .

المبحث الثاني: مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والاستدلال.

لم ينطلق سيبويه في سماعه من العدم بل إنه استدل عليه من مصادر عدة، حتى يكون لقواعد اللغة استنباطات واضحة المعالم ولا لبس فيها. وبناء عليه سنعرض مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه من الاستدلال بالقرآن الكريم، الحديث الشريف، وبالشعر، وبالكلام المنثور وتوظيفه لهذا الاستدلال في علمه النحوي.

المطلب الأول: الاستدلال بالقرآن الكريم.

يعد القرآن الكريم المصدر الأهم للغة العربية عند العرب وأسماها وأفصحها، وقد اعتمد سيبويه على ثقافته القرآنية بشكل كبير في إقامة هذا الهرم العلمي وطرح فلسفة لغوية محكمة على واقع لغوي هائل مترامي الأطراف بين قبائل العرب، ويعود الفضل في هذا الطرح للتلميذ واستاذه الخليل فقد قدموا اساليب محددة وبينوا طرائق مختلفة في الاستدلال بآيات الذكر الحكيم، واستخراج القاعدة النحوية وضوابطها، وذلك من خلال منهج يعتمد على التطبيق العلمي، دون اللجوء إلى وضع أسس نظرية.[1]

ولما كان النص القرآني افصح منطوق، وأوثق منقول، نال الدرجة العليا في الاستدلال عند سيبويه وعند غيره من علماء السلف، فكان أسمى مصادر المادة اللغوية، فسيبويه يقول في معرض تعليقه في باب حروفٍ أجريتْ مجرى حروف الاستفهام وحروف الأمر والنهى (...وقد تلى بعضهم: أما ثمود فهديناه)، (**سورة فصلت، الآية 17**) إلا أن القراءة لا تُخالف؛ لأن القراءة السنة)، ويقول في توضيحها التنبيه: إن الدليل على استخدامها قول الله (ها أنتم هؤلاء) (**سورة النساء، الآية 109**) ، (وقد تكون في ها أنت ذا غير مقدمة، ولكنها تكون للتنبيه بمنزلتها في هذا؛ يدل على هذا عز وجل (ها أنتم هؤلاء)،[2] وكذلك الأمر عند من جاء من بعده، فهذا الإمام الرازي يقول: إذا

[1] محمود سليمان ياقوت، **أصول النحو العربي**، دار المعرفة الجامعية، (د/ط)، الإسكندرية،2000، ص221.

[2] عمرو بن عثمان سيبويه، **الكتاب**، ج2، ص 354.

جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول، فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى...، فلأن ورود القرآن دليلاً على صحتها كان أولى.[1]

ومنهجية سيبويه في استدلاله بالقرآن وتوظيفه للاستخدامات اللغوية كان لها حضور علمي واضح في مواضع عديدة، لا بل كثيرة جداً إذ كان سيبويه يُتبع بعض الآيات القرآنية باستخدامات لغوية فقد سمعها من مشهور كلام العرب أو اشتهرت في فصيح منطوقهم، فيقول: (فإنما أجرى هذا على كلام العباد، وبه أنزل القرآن)،[2] ونجده قد علق في مواطن كثيرة من المواضيع التي ناقشها ببعض الجمل والعبارات التقييمية التي يشرح ما فيها من جوانب نحوية بقوله: (فأما قوله عز وجل "إنا كل شيء خلقناه بقدر" (**سورة القمر، الآية 49**) فإنما هو على قوله: زيداً ضربته، وهو عربي كثير) ، وفي غير موضع يذكر بعض الشواهد القرآنية، معلقاً عليها بقوله: (وهذا النحو كثير في القرآن)[3]؛ أما في معرض التوسع والتعليل فيقول: (ومما جاء في الرفع قوله تعالى...)، ويقول في التأكيد والتثبيت: (تصديق ذلك قوله عز وجل...) وغيرها الكثير الكثير.[4]

وبناءً على تتبعنا في هذه الدراسة للمواطن السالفة الذكر عند سيبويه في توظيف التركيب اللغوي للقرآن يظهر أن أثر هذا التوظيف أسهم بشكل واضح في رسم منهجية سيبويه في توضيح فلسفة التفكير اللغوي عند العرب من خلال واقعهم اللغوي؛ إذ جاءت أصوله في التقعيد محافظة تعتمد المعيارية في محاكاة النص المقدس من خلال إثبات الاستعمال كما هو في حال كانت دلالته صحيحة لا تتعارض مع المبادئ والسلوكيات والأخلاق.

لقد اعتمد سيبويه على بعض الاستعمالات النحوية التي وردت في القرآن الكريم في صياغة عنوانات بعض الأبواب، فالقارئ للكتاب يلاحظ أنه كان يتبع العنوان مباشرة بالآيات الكريمة التي

---

[1] الرازي فخر الدين، **تفسير الفخر الرازي**، ج3، دار الفكر، ط1،بيروت، 1981، ص 193.

[2] عمرو بن عثمان السيبويه، **الكتاب**، ج2 ، ص 148.

[3] عمرو بن عثمان السيبويه، **الكتاب**، ج1، ص148-153.

[4] المرجع نفسه، ص 155-157.

تتصل به، ومن أمثلة هذه المنهجية قوله: (هذا باب ما لا يكون إلا على معنى (ولكن)، فمن ذلك قوله تعالى: "قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم". (**سورة هود، الآية 43**) أي: لكن من رحم. وما بعد (إلا) في مثل هذه الآيات الكريمة، منصوب على الاستثناء المنقطع. وقوله" (هذا باب تكون فيه أن بدلا من شيء ليس بالأخر من ذلك "وإذْ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم" (**سورة الأنفال، الآية 7**) فالظاهر أن الشواهد القرآنية تأتي في بداية بعض الأبواب عند سيبويه؛ لأنها أرقى الشواهد وأقواها في الاحتجاج. علما بأنه كان يعتمد العبارات المنثورة من فصيح كلام العرب، بعد آيات القرآن الكريم للشرح والتوضيح.

وهذا أثر آخر من أثار توظيف الاستدلال بنصوص القرآن نثبته قيمة علمية لها الدور البارز في التفكير اللغوي العربي وعملية التقعيد؛ إذ نستقرئ من المنهجية التي تكتشف لدينا من أسلوب سيبويه في تصدير الآيات القرآنية للأبواب النحوية التي كان يصنفها بعد العنوان المباشر، إقراره مبدأ القياس على النموذج الفصيح خياراً أولاً قبل كل شيء، خصوصاً إذا كان ذلك النموذج هو القرآن الكريم معجزة التحدي لقريش أمراء الفصاحة والبيان.[1]

وأسلوب آخر يطالعنا به سيبويه في منهجه الاستدلالي بنصوص القرآن الكريم نلاحظه من خلال استخدامه مصطلحات مستحدثة في علم النحو يذكرها من باب الإقرار بالاستخدامات اللغوية، كقوله في (باب ما يكون فيه إلا بعده وصفاً بمنزلة مثل وغير...ونظير ذلك قوله عز وجل: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا...". (**سورة الأنبياء، الآية 22**.)وقوله" (وهذا الضرب في القرآن كثير) ، وقوله: (ومثل ذلك قوله عز وجل: "واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا" (**سورة الأعراف، الآية 155**) وهذا الأسلوب دليل على أن سيبويه كان لديه استقراء واسع للواقع

[1] مجدي حسين أحمد شحادات، **مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والاستدلال**، مجلة دراسات لغوية، قسم اللغة العربية، المملكة الأردنية الهاشمية، 2020، ص 105.

والاستعمال في منطوق العرب، فقواعده قد بنيت على المنطوق الشائع المستعمل بين الناس بكثرته لا كما يقول بعض النقاد بأن استقراءه ناقص قام على المسموع القليل الذي درج بين الخاصة.[1]

ومن منهجه الاستدلالي بنصوص القرآن الكريم، حرصه على ربط ما في بعض الآيات القرآنية من التقدير الإعرابي بالمعنى. ومن أمثلة ذلك: نصب كلمة (حمالة) في قوله تعالى: "وامرأته حمالة الحطب". (**سورة المسد، الآية 4**.) حيث يعلق سيبويه عليها بقوله: (لم يجعل الحمالة خيراً للمرأة، ولكنه كأنه قال: أذكر حمالة الحطب شتماً لها، إن كان فعلاً لا يستعمل إظهاره).ومن مظاهر منهجه الاستدلالي في هذا المنحنى ابتعاده في تقديراته الإعرابية لبعض آيات الذكر الحكيم عن تخريجها في ضوء اللهجات التي ليس لها شيوع في الاستمعال، ومن ذلك لهجة "أكلوني البراغيث"، فقد بين أن من العرب من يقول: ضربوني قومك، وضرباني أخواك، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في : قالت فلانه، وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة، كما جعلوا للمؤنث، وهي قليلة.

بآية ما سلف نجمل استنتاجاً في تصور يرى أن الشاهد القرآني قد نال اهتمام سيبويه وعنايته، سواء أكان هذا الاستدلال بالمتواتر من آيات الذكر، أم من الشاذ منها، فأثر القرآن واضح بلا شك في منهجية سيبويه بين المعيارية أو القياس من خلال ما تتبعنا في الشواهد المختارة في الدراسة بما يمكن أن يكون ضابطاً مهما في باكورة التقعيد اللغوي عند العرب.[2]

أما منهج سيبويه في الاستدلال بالقراءات القرآنية فلا يختلف كثيراً عن سابقه من متواتر القرآن؛ فالقراءات جمع قراءة، والمقصود بها: الوجوه المختلفة التي سمح بها الرسول صل الله عليه وسلم عند قراءة آيات الذكر الحكيم، وتعلل القراءة في ضوء إحدى اللهجات العربية؛ لأنها جاءت موافقة لها.[3]وقد أجمع القراء على ان هناك ثلاثة شروط لقبول القراءة، وهي:

---

[1] مجدي حسين أحمد شحادات، **مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والاستدلال** ، ص 105.

[2] المرجع نفسه، ص 105

[3] عبد الرحمان بن إسماعيل الدمشقي، **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع**، (تحقيق: إبراهيم عطوة)، الكتب العلمية، (د/ط)، بيروت، (د،ت)، ص 5-6.

* أن تصح نسبتها إلى النبي صل الله عليه وسلم بالتواتر.
* أن توافق العربية (والمقصود قواعد النحو) ولو بوجه.
* أن توافق رسم المصحف العثماني.

لقد اعتمد سيبويه على القراءات فكانت مصدراً من مصادره التي استشهد بها؛ إذ عرض للمثير منها، وحرص على توجيهها، وبيان ما فيها من الظواهر اللغوية، متحرياً الدقة في القراءات التي استشهد بها؛ إذ يقول سيبويه: (إلا أن القراءة لا تُخالف؛ لأن القراءة السنة)؛[1] لذلك التزم سيبويه في منهجه بالاستدلال بالقراءات بعدة طرق منها: ذكر اسم راوي القراءة كقوله: (ومثل هذا "وحوراً عيناً" في قراءة أبي بن كعب).

ولما كانت بعض القراءات مجهولة الراوي لديه كان ينسبها للبلد الذي يقرأ أهلها بها، فقال: مثل قراءة أهل الحجاز، وقرأ أهل الكوفة، وأهل المدينة يثورون، وقراءة أهل مكة اليوم، ولم يذكر سيبويه ما جاء مخالفاً من القراءات للقياس، ولم ينسب قارئاً غلى اللحن، وكان لا يعيب قراءة ولا يحكم عليها بالخطأ، بل إنه استشهد بالقراءات الشاذة التي جاءت موافقة للقياس. فسيبويه لا ينكر القراءة التي تخالف القياس، بل عادة لا يعرض لها، ويرى المخزومي أن البصريين وقفوا من القراءات موقفهم من سائر النصوص اللغوية، وأخضعوها لأصولها وأقيستهم، فما وافق منها أصولها ولو بالتأويل، قبلوه، وما خالفها رفضوا الاحتجاج به، ووصفوه بالشذوذ.[2]

ومن القراءات التي ذكرها سيبويه، قوله تعالى: "ولات حين مناص".[3] وقد قال فيها: (وزعموا أن بعضهم قرأ "ولات حين مناص") وهي قليلة، كما قال بعضهم في قول سعد بن مالك القيسي:

من فر عن نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لا براح.[4]

---

[1] عمرو بن عثمان السيبويه، **الكتاب**، ج1 ، ص 148.

[2] مجدي حسين أحمد شحادات، **مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والاستدلال** ، ص 106.

[3] مهدي المخزومي، **مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، القاهرة، 1958، ص 384.

[4] عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب**، (تحقيق: عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، ط4،القاهرة، 1997، ص 467.

جعلها بمنزلة (ليس)، فهي بمنزلة (لات) في هذا الموضع في الرفع، و (لا) هنا عاملة عمل (ليس)، و (براح) اسمها، والخبر المحذوف، والتقدير: لا براح لي؛ أي ليس لي براح. ومنها قولها تعالى: "وهذا بعلي شيخاً)، (**سورة هود، الآية 73**) وقد قرأ وابن مسعود: (وهذا بعلي شيخ) (بعلي) و (شيخ) خبران لمبتدأ (هذا)، على سبيل تعدد الخبر، وقد أخذ سيبويه بهذا الوجه، وعده كقولك: هذا حلو حامض، لا تريد أن تنفض الحلاوة، ولكنك تريد أنه جمع للطعمين، أي: الحلاوة والحموضة، وكذلك هذا، أي: جمع البعولة والشيخوخة.

فالقراءات القرآنية أخذت نصيبها عند سيبويه في الاحتجاج بما وافق منهجه، فكان يستشهد بها بأسلوبه الخاص، ولم يذكر ما جاء مخالفاً منها للقياس، بل كان لها الأثر في تقعيده باعتبارها خياراً مهماً في تعدد أوجه القياس والتخريج والتفسير الدلالي الذي يوضح الوجه النحوي باعتبار المعنى الذي هو فرع الإعراب وبه يستقيم.[1]

المطلب الثاني: الاستدلال بالحديث الشريف.

قل الاستدلال بالحديث الشريف في كتاب سيبويه، ورأى بعض المتأخرين من علماء اللغة أن السبب عنده قد يكون لأن الكثيرين من رواة الحديث الشريف آنذاك وحفظته هم من الأعاجم الذين لا يوثق بهم في الفصاحة؛ إذ اشتهر بينهم فساد لغتهم وتفشي اللحن في ألسنتهم، فضلا عن أن بعض الاحاديث الشريفة رويت بالمعنى لا باللفظ، فقلة احتجاجه بالحديث الشريف كان بسبب أنه مروري بالمعنى، ويقصد بها أن ألفاظه غير ألفاظ الرسول صل الله عليه وسلم، في حين يرى بعض المتأخرين أن التقعيد في زمانه اعتمد المادة المكتوبة تحديداً والحديث كما يبدو أنه لم يكن من المواد المكتوبة آنذاك، وقد تكون قلة الاستشهاد بالحديث، لا من أجل الرواية بالمعنى أو الشذوذ والعدول، بل لأن الحديث جاء منسجماً مع القاعدة؛ لذلك لا يخدم التقعيد.

[1] مجدي حسين أحمد شحادات، **مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والاستدلال** ، ص 106-107.

واستدل سيبويه بعدة أحاديث أثناء عرضه للقواعد النحوية؛ ولكنه لم يستخدم عبارات توضح أنها أحاديث شريفة، وكان يدرجها ضمن الأمثلة والجمل، حيث يقول سيبويه: (ومما يقوى ترك نحو هذا لعلم المخاطب، قوله عز وجل (والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات). فلم يعمل الآخر فيما عمل فيه الأول استغناء عنه، ومثل ذلك: (ونخلع ونترك من يفجُرك)؛ دون أن يذكر أنه حديث شريف.

ومن الأحاديث الشريفة التي أشار إليها سيبويه في تعدد الأوجه الإعرابية، وقوله: (وأما قولهم: ومسلم في "صحيحه" (2658)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي صل الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهوِدانه، أو يُنَصرانِه، أو يُمجسانِه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء)، ففيه ثلاثة أوجه، فالرفع وجهان، والنصب وجه واحد، فأحد وجهي الرفع أن يكون[1] المولود مضمراً في (يكون) و (الأبوان) مبتدآن، وما بعدهما مبني عليهما، كأنه قال حتى يكون المولود أبواه اللذان يهودانه أو ينصرانه...، والوجه الآخر: أن تعمل (يكون) في (الأبوين) ويكون (هما) مبتدأ، وما بعده خبراً له، والنصب على أن تجعل (هما) فصلاً، فالوجه الأول: إن (أبوا) مبتدأ، و (هما) ضمير فصل، لا محل له من الإعراب، و(اللذان) خبر، والتقدير عند سيبويه: حتى يكون أبواه اللذان، والوجه الثاني: إن (أبوا) اسم (يكون)، و(هما) ضمير منفصل، في محل مبتدأ، و(اللذان) خبر المبتدأ. والوجه الثالث: إن (أبوا) اسم (يكون)، و (هما) ضمير فصل، و (اللذان) بالنصب خبر (يكون).

ويبدو لنا أن الحديث النبوي كان له الأثر البالغ والدافع الكبير عند سيبويه لتعلم العربية وضوابطها، فكما جاء في الروايات التي تقول أن سيبويه لحن، في حديث للرسول صل الله عليه وسلم، كان الحديث نقطة تحول مهمة لإقباله على العربية، وامتلاك نواصيها بكل إصرار؛ الأمر الذي جعله متصدراً لكثير من المناظرات والنقاشات العتيدة؛ لينمو لديه فكر حجاجي عميق وقدرة كبيرة

[1] مجدي حسين أحمد شحادات، **مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والاستدلال** ، ص 107.

على الاستدلال القوي والتأويل المنطقي، فتعلو شهرته بين أقرانه منذ الصغر، ويجتهد ويبدع ليسطر في مقتبل عمره هذا الإرث العلمي الذي ما زال حيا بعد أكثر من ألف سنة.[1]

المطلب الثالث: الاستدلال بالشعر العربي الفصيح.

يعد الشعر العربي الفصيح من المصادر المهمة عند الأوائل من علماء اللغة في تقعيد القواعد وتقنينها؛ لأن الشعر ديوان العرب الذي حفظت به أنسابها، وسجلت فيه مآثرها، وقد كان النحاة يحفلون بالشعر إلى درجة لهتهم أو كادت تلهيهم عما سواه، من الكلام؛ ولكن كان النحاة اصولاً وضوابط اعتمدوها للشعر الذي يحتجون به على قواعدهم، فلا يحتجون إلا بشعر من عاش في عصر الاحتجاج،[2]وقد قسموا الشعراء إلى أربع طبقات، وهي:

- **الطبقة الأولى:** الشعراء الجاهليون الذين عاشوا قبل الإسلام، كامرئ القيس والأعشى وطرفة وزهير وغيرهم.
- **الطبقة الثانية:** المخضرمون الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كالخنساء وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهم.
- **الطبقة الثالثة:** المتقدمون ويقال لهم إسلامون، فعاشوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق والأخطل وغيرهم.
- **الطبقة الرابعة:** المولدون ويقال لهم: المحدثون كبشار بن برد وأبي نواس.[3]

فسيبويه استدل بشعر الطبقيتين: الأولى، والثانية؛ اما الطبقة الثالثة فإن معظم اللغويين يحتجون بشعرها، في حين أن الطبقة الرابعة لا يستشهد بشعرها مطلقاً، ويرى البغدادي أن الطبقيتين الأوليين يستشهد بشعرهما إجماعاً؛ وأما الثالثة فشعرها صحيح وصحة الاستشهاد به لا غبار عليه لمن أراد

[1] مجدي حسين أحمد شحادات، **مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والاستدلال** ، ص 107-108.

[2] محمد عيد، **الرواية والاستشهاد باللغة**، عالم الكتب، (د/ط)، بيروت، 1972، ص 137.

[3] مجدي حسين أحمد شحادات، **مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والاستدلال** ، ص 108.

الاستشهاد، فالشعر الجاهلي اكتسب ثقة الرواة، حتى اتخذوه وسيلة للاحتجاج عند الحديث عن قضايا النحو واللغة، ومعلوم أن سيبويه قد حرص على تسجيل إنشاد العرب للشواهد الشعرية التي كان قائلوها من إحدى الطبقات الثلاث المعتبرة في منهج النحاة البصريين من حيث الاحتجاج بشعرها، وأشار إلى أن سيبويه احتج في كتابه ببعض شعر بشار، تقرباً إليه؛ لأنه كان قد هجاه لترك الاحتجاج بشعره؛ لكن الحديثي ترى أن سيبويه لم يبنِ قاعدة على الشعر المولد، ولم يقس عليه، وإنما يأتي به تمثيلاً، بعد أن يبني القاعدة على الآيات القرآنية، والشواهد الشعرية المنسوبة لقائليها أو على كلام العرب الذي صحت روايته، ومن الأمثلة على استخدم سيبويه الشواهد لبيان الوجه النحوي الخاص به، قول عمرة بن شأس:

بني أسدٍ هل تعلمون بلاءنا إذا كان يومًا ذا كوكب أشنعاً.

فقد سمع سيبويه بعض العرب تنشد البيت: (إذا كان يومٌ ذو كواكب أشنعا)، فيقول عن البيت بروايته: (أضمر لعلم المخاطب بما يعني، وهو (اليوم)، وسمعت بعض العرب يقول: (أشنعا)،ويرفع ما قبله، كأنه قال: إذا وقع يوم ذو كوكب أشنعا). ويفسر بعض المتأخرين ذلك بقولهم: إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا، بأن (يوماً) منصوب؛ لأنها خبر (كان)؛ أما اسمها فهو مضمر لعلم المخاطب بما يعني، والتقدير: إذا كان اليوم يوماً، ومعناه: إذا كان اليوم الذي يقع فيه القتال، وقول الشاعر: (إذا كان يومٌ) بأن (كان) تامة، بمعنى الفعل (وقع)، و(يوم) فاعل، و(ذو) صفة لـ(اليوم)، و(أشنعا) حال مؤكدة؛ لأنها إذا وصفت (اليوم) ب(الكواكب) فقد دل على الشنعة.[1]

والظاهر أن سيبويه لم يأت بأبيات الشعر وسيلة مباشرة لبناء القواعد، بل بدا واضحا أن الشعر تم توظيفه والاستدلال به لتوكيد القاعدة وتمثيلها، بعد أن يكون قد بناها على المنثور من الكلام الفصيح الموثوق بفصاحته وفصاحة ناطقيه ورواته، ويرى المتأخرون أن الصورة الكمية للأبيات الواردة في كتاب سيبويه، لا تعد دليلاً على اعتماده في بناء القاعدة على الشعر، ومما يؤكد ذلك أن مئة

[1] مجدي حسين أحمد شحادات، **مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والاستدلال** ، ص 109.

وستين بيتاً من أبياته عدها من قبيل الضرورة الشعرية، وهذه لا تبنى عليها لغة الكلام العادي وأحكامه، فمن المعروف لديهم أن الشاعر عندما يكون مضطراً في قوله، تسقط حجية الاستشهاد بيته، وأن هناك ثمانية أبيات جاء بها للتمثيل على الضعيف الشاذ، ولا يبني عليها قاعدة، فالشاذ لا يقاس عليه لدى سيبويه، وفي الكتاب خمسة أبيات أتي بها لبيان معاني الكلمات، وفيه اثنان وعشرون بيتاً للتمثيل على قضايا شعرية، لا ارتباط لها بلغة الكلام العادي، كالترنم والوقف؛ وبهذا يكون الكتاب قد حوى ما يقرب من مائتي بيت لم تبن عليها القواعد، فسيبويه —كما ترى الحديثي– بنى معظم أبوابه على شواهد قرآنية.

إن الباحثين الذين رأوا بأن الشعر مصدراً رئيسياً عند سيبويه في بناء قواعده اعتماداً على إحصاء عدد الأبيات الواردة في الكتاب تبين فساد نتائجهم لاعتمادهم على الأرقام وحدها دون متابعة الواقع كما في الأبواب النحوية وآلية طرحها، والتتبع الدقيق لكتاب سيبويه يكشف أن النثر لا الشعر هو الأساس في بناء معظم القواعد، وأن كثرة الأبيات الشعرية في الكتاب، لا تعد دليلاً على اعتماد سيبويه الكلي عليها في بناء القاعدة النحوية، بل قد يأتي بهذه الأبيات لتأكيد القاعدة وتمثيلها.

وأما ما نثبته من أثر الشعر في التفكير اللغوي عند سيبويه في تقعيده القواعد اللغوية فالشعر فتح باب الترجيح والتأويل على أوسع أبوابه، وتحرر سيبويه من قداسة النص ومقامه الذي لا يمس فبات الأخذ والرد مع غير القرآن والحديث بابا مفتوحاً؛ إذ لا تسليم للرواية مطلقاً إذا خالفت الأصول أو تجاوزت الثوابت، فالنص عند سيبويه لا يكفي لاستنباط الأحكام، فهو يلجأ أحياناً إلى فرض الفروض ثم يَشرع لها إكمالاً لصور عقلية تتمثل في ذهنه.[1]

[1] مجدي حسين أحمد شحادات، **مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والاستدلال** ، ص 109-110.

المطلب الرابع: الاستدلال بكلام العرب المنثور.

وكلام العرب المنثور الذي يصح به الاستدلال هو كل كلام ثبت قطعاً عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم، من خطب ووصايا وأمثال وحكم، فضلاً عنما تم توثيقه من بعض الصكوك والمراسلات والنوادر، وقد تفطن المتقدمون من رواد البحث اللغوي لحدود وضوابط مستحدثة لديهم لتحديد المصادر النقية لهذا المنثور فقرروا مبادئ ثابتة لهم تقوم على ما يأتي:

الأول: انتقاء قبائل بعينها لتكون مصدراً للفصاحة، وهي: قيس وتميم وأسد وقد أخذ اللغوين من: هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ووصف النحاة كلام العرب الذي خضع الاستقراء، واستخرجوا منه القواعد بأنه كلام العربي الفصيح.[1]

الثاني: انتقاء الزمان، وفي هذا المجال استنبط النحاة قواعدهم من شعر امرئ القيس، ومن أتى بعده، إلى ابن هرمة، في نهاية القرن الثاني الهجري، فقد قبل الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية، فصحاء الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري، سواء أسكنوا الحضر أم سكنوا البادية.

الثالث: الأعراب مرجعية مقدسة للعربية، ويقصد بالأعراب سكان البادية، ولهم الدور المهم في الحياة اللغوية، فكلام الأعراب يعد من مصادر اللغوية التي اعتمد عليها علماء اللغة والنحو، فقد كانوا يجدون الفائدة في الاستماع إليهم، وكان بعض الأعراب يأتي إلى الحواضر، كالبصرة والكوفة التجارة، فينتهز رواة مجيئهم إلى هاتين الحاضرتين للمثاقفة الشفهية والإستماع إلى كلام الفصحاء منهم، فتقرر لديهم أن من أراد الفصاحة وحاضنتها فعلية بالرحلة إلى البادية.

اعتمد سيبويه على الكلام المنثور في صياغة قواعد كثيرة تضبط الجملة العربية فجاء عنده في باب ما جرى نعتا على خير وجه الكلام، نحو: (هذا جحر ضب خرب)، أن وجه الرفع لكلمة (خرب) وهو القياس؛ لأن (خرب) نعت لـ: (جحر)، و(حجر) مرفوع، ولكن العرب يجرون كلمة

[1] جلال الدين السويطي، **المزهر في علوم اللغة**، ج1، (تحقيق: محمد جاد ومحمد أبو الفضل ومحمد علي)، المكتبة المصرية، (د/ط)، بيروت، 1986، ص 211.

(خرب) بحكم جوارها لكلمة (ضب) المجرورة، من باب (الجر على الجوار)، وقد بين سيبويه هذا الجر بقوله: وليس (خرب) بنعت لـ: (الضب)؛ ولكنه نعت للذي أضيف إلى (النصب)؛ فجروه؛ لأنه نكرة ك: (الضب)، لأنه في موضع يقع فيه نعت (الضب)، ولأنه صار هو و(الضب) بمنزلة اسم واحد؛ فرأى سيبويه أن أسباب الجر لكلمة (خرب)؛ لأنهما نكرتان، كما أن (ضب وخرب) صارتا بمنزلة كلمة واحدة. ومما اشتهر عن سيبويه اصداره أحكاماً بصيغ مختلفة على الشواهد النثرية من باب المعيارية في والقياس كقوله: عربي جيد، وعربي حسن، وعربي مطرد.

وبعدُ، لم يكن النثر أقل قيمة وأثراً من الشعر في التقعيد اللغوي عند سيبويه سواء كان مسموعاً أو مروياًن فالطريقتان أصبحتان –السماع والرواية– من أصول النحو التي يعتمد عليها، وباتت حدود الاحتجاج والترجيح والتأويل والتخريجات اللغوية ملاذاً رحباً يتسع بفضل غزارة الموروث النثري إلى قرع الحجة بالحجة. فسيبويه في قواعده لم يشترط الأحكام شرطاً، بل كانت الحجة قائمة في تخريجه سواء بالعقل أو النقل. ومن هنا ارتقى الفكر اللغوي للتصدي لأية محاولات تعتمد مصادر جديدة أو مناهج أخرى في استقراء الواقع اللغوي، باعتبار أن ما أثبت في مرحلة التقعيد الأولى مع باكورة النشاط اللغوي لم يترك للاستدراك مجالاً أو موضعاً يمكن التعليق عليه وإضافة ما هو جديد غير ما قيل فيه.[1]

[1] مجدي حسين أحمد شحادات، **مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والاستدلال** ، ص 110-111.

خاتـــــمة

خاتمة:

1. يُعد السماع اللغوي إحدى الركائز الأساسية في بنيان نظرية النحو العربي.
2. يتضمن الكتاب العديد من النصوص التي تدل على أن سيبويه سمع مباشرة.
3. لقد اتبع سيبويه منهجا علميا واضحا في استقراء المادة اللغوية من خلال السماع أثناء تصنيفه للكتاب.
4. لقد مر على وفاة سيبويه ألف ومئتين وخمسين سنة ولكن لا يخفي على الباحثين أنه كان عالما بشؤون العربية ومستوعبا النحو والصرف.
5. لقد اتبع سيبويه قواعد عامة تضبط أصول الجمع والاستقراء من ناحية الزمان والمكان والمأخوذ عنه والمأخوذة به من الشواهد النحوية، وهي القواعد التي اسنبطها علماء العربية وسارو تبعا لها وتعارفوا عليها وأقروها وصارت منهجهم وطريق سيرهم.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، ط1، بيروت.

ثانياً: الكتب:

1. إبراهيم أحمد محمد شويحط، **السماع اللُغوي المباشر عند النحاة قبل سيبويه**، مكتبة لسان العرب، (د/ط)، جامعة اليرموك،2012/2011.

2. إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، دار التأليف والترجمة للنشر، ط2، (د/م/ن)، 1992.

3. ابن الأثير ، **غريب الحديث**، (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي)، المكتبة العلمية، بيروت/لبنان، (د/ط)،1979.

4. أحمد أحمد بدوي، **سيبويه حياته وكتابه**، مؤسسة الهنداوي "سي أي سي"، المملكة المتحدة، 2019.

5. أحمد بن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، (تحقيق وتقديم: مصطفى الشومي)، مؤسسة أ/ بدران، (د/ط)، بيروت/لبنان، 1964.

6. إدريس مقبول، **منهج سيبويه في الاحتجاج بالقراءات ولها**، عالم الكتاب الحديث، ط1، أربد/الأردن، 2010.

7. الإمام الشافعي، **رسالة**، (تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر)، دار التراث، ط2، القاهرة، 1979.

8. أمان الدين حتحات، **الاستدلال النحوي في كتاب سيبويه وأثره في تاريخ النحو**، دار القلم العربي، ط1، (د/م/ن)، 2006.

9. ابن الأنباري ، عبد الرحمان بن محمد، **لمع الأدلة في أصول النحو**، (تحقيق : سيد الأفغاني)، مطبعة الجامعة السورية، (د/ط)، دمشق، 1957.

10. الجاحظ، **البيان والتبيين**، (تحقيق: عبد السلام هارون)، ج1، مكتبة الخائن، ط7، القاهرة، 1998.

11. جلال الدين السويطي، **المزهر في علوم اللغة**، ج1، (تحقيق: محمد جاد ومحمد أبو الفضل ومحمد علي)، المكتبة المصرية، (د/ط)، بيروت، 1986.

12. إبن جني، **الخصائص**، (تحقيق: محمد علي أنصار)، دار الكتب، (د/ط)، القاهرة/مصر، 1952.

13. الجوهري، **الصحاح**، (تحقيق: عبد الغفور عطار)، مادة (نحا)، ج 06، دار العلم للملايين، ط3، لبنان، 1983.

14. خديجة الحدثي، **أبنية الصرف في كتاب السيبويه**، مكتبة النهضة، بط1، بغداد، 1965.

15. الرازي فخر الدين، **تفسير الفخر الرازي**، ج3، دار الفكر، ط1، بيروت، 1981.

16. الزمخشري، **أساس البلاغة**، (تحقيق: باسل عيون السود)، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط1، ج2، 1998.

17. سليمان يوسف خاطر، **منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتوجيه قراءاته ومآخذ بعض المحدثين عليه**، مكتبة الرشد، ط1، الرياض/ المملكة العربية السعودية، 2008.

18. سيبويه أبي بشير عمرو بن عثمان بن قمبر، **الكتاب**، (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون)، مكتبة الخانجي بالقاهرة لطباعة والنشر، ط3، القاهرة، 1988.

19. شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، دار المعارف، ط1، (د/م،/ن)، (د/س/ن).

20. طه حسين الدليمي، **تدريس اللغة العربية بين الطوائف التقليدية والاستيراتيجيات التجديد**، علم الكتاب الحديث، ط1، (د/م)، (د/ ت).

21. عبد الرحمان بن إسماعيل الدمشقي، **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع**، (تحقيق: إبراهيم عطوة)، الكتب العلمية، (د/ط)، بيروت، (د،ت).

22. عبد الرحمن الحاج صالح، **السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة**، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، (د/ط)، الجزائر، 2007.

23. عبد القادر المهيري، **نظرات في التراث اللغوي العربي**، دار الغربي الإسلامي، ط1، بيروت، 1993.

24. عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب**، (تحقيق: عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1997

25. عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب**، (تحقيق: عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1997.

26. علي محمد السيد الشريف الجرجاني، **التعريفات**، (تحقيق: محمد الصديق المنشاوي)، دار الفضيلة، (د/ط)، القاهرة/مصر، (د/ت).

27. علي نجدي ناصف، **سيبويه أمام النحاة**، عالم الكتب، (د/ط)، القاهرة، 1979.

28. فوزي مسعود، **سيبويه جامع النحو العربي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د/ط)، مصر، 1986.

29. كمال بشر، **اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د/ط)، القاهرة، 1999.

30. محمد إسماعيل ظافر وآخرون، **التدريس في اللغة العربية**، دار المريخ للنشر والتوزيع، (د، ط)، الرياض، 1994.

31. محمد بن حسن الصايغ، **اللمحة في شرح الملحة**، (تحقيق : إبراهيم بن سالم صاعدي)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، المدينة المنورة/السعودية، 2004.

32. محمد عبد الخالق عظيمة، **فهارس كتاب سيبويه**، الناشر المؤلف، ط1، القاهرة، 1975.

33. محمد عيد، **الرواية والاستشهاد باللغة**، عالم الكتب، (د/ط)، بيروت، 1972.

34. محمد كريم الكواز، **الفصاحة في العربية المفاهيم والأصول**، الإنتشار العربي، بيروت/لبنان، ط1، 2002

35. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (تحقيق ومراجعة: نواف جراح وسمير شمس)، دار الأبحاث، ط1، (د/م/ن)، 2011.

36. محمود سليمان ياقوت، **أصول النحو العربي**، دار المعرفة الجامعية، (د/ط)، الإسكندرية، 2000.

37. مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، هنداوي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ت 2012/08/26، (د/ط).

38. مهدي المخزومي، **مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، القاهرة، 1958.

39. أبو نصر هارون بن موسى القرطبيي، **شرح عيون كتاب سيبويه**، (تحقيق: عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه)، ط1، (د/م/ن)، 1984.

40. ابن هشام الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، (تحقيق: مازن المبارك و محمد علي حمد الله)، دار الفكر، ط5، بيروت، 1979.

ثالثا: المجلاتّ والمقالات العلمية:

41. عبد الهادي جمال الدين، خلف الله بن علي، **المفارقة النحوية في مدونة النحو التقليدي (بين التقعيد والقاعدة)**، مجلة دراسات وأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 11، العدد 1، تيسمسيلت، 2019.

42. مجدي حسين أحمد شحادات، **مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والاستدلال**، مجلة دراسات لغوية، قسم اللغة العربية، المملكة الأردنية الهاشمية، 2020.

رابعا: المحاضرات:

43. بوزيد طبطوب، **محاضرات في أصول النحو للسنة الثانية دراسات لغوية**، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد لمين دباغين –سطيف2–، 2016/2015.

خامسا:المذكرات والرسائل الجامعية:

44. راضية غندري عون، كريمة عتير، **الحجاج في تعليلات كتاب سيبويه "باب المسند والمسند إليه" و "باب ما يعمل فيه الباب فينتصب وهو حال وقع فيه الفعل وليس بمفعول"**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والآدب العربي، تخصص لسانيات عامة، قسم اللغة والآدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة حمة لخضر –الوادي–، 2020/2019.

45. كمال رقيق، **المصطلح اللّغوي في كتاب سيبويه**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان/الجزائر، 2012 /2013.

46. محمد أحمد العمروسي، **دور الحديث النبوي الشريف في التقعيد النحوي**، رسالة دكتوراه، قسم النحو والصرف والعروض، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، (د/ت).

سادساً: المواقع الإلكترونية:

47. عبد الحميد نوري عبد الواحد، **القاعدة النحوية**، مقال إلكتروني متاح على منصة العربية، عبر الرابط التالي: www.a-a-arabia.com، تم الاطلاع يوم 20222/06/12، على 20:30 سا.

فهرس المحتويات:

المحتويات	الصفحة
شكر وتقدير	
مقدمة	أ-ب
المدخل: سيبويه	
1. اسمه ونسبه	5-4
2. مولده ولقبه	6-5
3. علمه وشيوخه	8-6
4. صفاته وأخلاقه	9-8
5. أخباره ووفاته	11-9
الفصل الأول: السماع اللغوي المباشر عند سيبويه	
المبحث الأول: مفهوم السماع	
المطلب الأول: مفهوم السماع	15-13
المطلب الثاني: أهمية السماع	16-15
المبحث الثاني: الرواية والفصاحة	
المطلب الأول: رواية اللغة والرواة	19-17
المطلب الثاني: الفصاحة وحدودها	22-20
المبحث الثالث: السماع المباشر عند السيبويه	
المطلب الأول: العبارات الدالة على السماع المباشر.	28-23
المطلب الثاني: شبهات بعض المنكرين لسماع سيبويه	30-28
المطلب الثالث: الرد على الشبهات.	36-31
الفصل الثاني: التقعيد النحوي عند سيبويه	
المبحث الأول: مفهوم التقعيد والنحو والقاعدة النحوية	
المطلب الأول: مفهوم التقعيد.	38

المطلب الثاني: مفهوم النحو لغة واصطلاحاً.	40-39
المطلب الثالث: مفهوم القاعدة النحوية لغة واصطلاحاً.	42-41
المطلب الرابع: شرح القاعدة النحوية.	45-43
المبحث الثاني: مصادر التقعيد اللغوي في كتاب سيبويه بين التوظيف والإستدلال	
المطلب الأول: الإستدلال بالقرآن الكريم.	51-46
المطلب الثاني: الإستدلال بالحديث الشريف	53-51
المطلب الثالث: الاستدلال بالشعر العربي الفصيح	55-53
المطلب الرابع: الاستدلال بالكلام العرب المنثور.	57-56
خاتمة	59
قائمة المصادر والمراجع	66-61
فهرس المحتويات	-
ملخص الدراسة	-

ملخص الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى البحث في السماع اللغوي المباشر والتقعيد النحوي عند سيبويه، وذلك من خلال الوقوف على مسيرته وكتابه واستخراج النصوص الدالة على سماعه المباشر والتي كانت في مواضيع كثيرة ومناسبات عديدة نذكر منها: "سمعت" و "سمعنا" و "سمعناه" وتعتبر أدلة على أن سيبويه سمع كثيراً من فصحاء العرب مباشرة دون وسيط ولقد توصلنا في البحث إلى نتائج مهمة وهي: أن سيبويه كان عالما بشؤون اللغة العربية ومستوعبا النحو والصرف.

ولقد اتبع منهجا علميا واضحا في استقراء المادة اللغوية من خلال السماع أثناء تصنيفه للكتاب.

Abstract :

This study aimed to research the direct linguistic listening and the grammatical recitation of Sibawayh, by examining his career and his writing and extracting texts indicating his direct listening, which were on many topics and on many occasions, including: "I heard", "we heard" and "we heard" and they are considered evidence of Sibawayh heard a lot from the learned Arabs directly without an intermediary, and we reached in the research important results, namely: that Sibawayh was a scholar of Arabic language affairs and comprehended grammar and morphology.

He followed a clear scientific approach in extrapolating the linguistic material through listening while classifying the book.